

بُول إيلوار بين السورالية والالتزام

• ترجمة: زياد العودة

ما هي السورالية ؟

يقول غوستاف لانسون في مؤلفه الكبير « تاريخ الأدب الفرنسي »
« ان أول من أطلق كلمة سورالية هو الشاعر الفرنسي غليوم أبولينير الذي
لعب دورا تبشيريا ورائدا في العديد من أشكال الفن الحديث ، فقد
تحدث عن التكعيبية والفن الزنحي ، ثم عن السورالية في نهاية
المطاف » •

ان الفكرة الرئيسية التي تقوم السورالية عليها هي ان الفن
ينبغي له أن يكف عن أن يكون تمثيلا وأن يصبح تصويريا مجازيا
ورمزيا ، فالتكعيبية مثلا تقوم بتفكيك عناصر الواقع لتعيد تركيبها
من جديد وبشكل حر ٠٠٠ أما السورالية فينبغي لها أن تستوحي
موضوعاتها من الطبيعة ولكن ، « دون أن تقوم بتقليدها على طريقة
التصوير الفوتوغرافي ، فعندما أراد الانسان أن يقوم بتقليد المشي ،
اخترع الدولايب الذي لا يشبه القدم الانسانية في شيء ، فصنع بذلك
شيئا سوراليا دون أن يدري » •

وهكذا ، فقد كانت الحركة السورالية تريد أن تصبح تجديدا في

جميع الفنون ، فتجمع بين البحث عن تقنية فنية جديدة ، والانطلاق الفكري الزاخر بالحماس . وقد وصلت مطامح أنصارها الى حد كبير ، فاعتقدوا أنهم يتمكنون من احداث ثورة فنية واجتماعية بأن واحد ، وذلك « بتثوير » جميع الاطر السابقة ، وقلب المفاهيم السائدة في المجتمع الراهن .

ان تغيير الشرط الانساني ، والفكر البشري، وطرق التعبير الفنية، بما يمليه الفكر مباشرة دون النظر بالاعتبار لاية رقابة يمارسها العقل ، وخارج كل المعايير الجمالية ، هي أسس السورية في نظر أندريه بريتون .

وفي مجال الموسيقى ، يقدم اريك ساتي (١٨٦٦ - ١٩٢٥) باليه « استعراض » بمشاركة جان كوكتو ، ويقوم بتنفيذها أستاذ الباليهات الروسية الشهير دياغليف ، ويضمهم الديكور بيكاسو . ولكن الامر لا يقتصر على الموسيقى فينتقل تأثير السورية الى السينما التي كانت لا تزال في فترة نشوئها، ويقدم مارسيل ليربيه (اللانسانية) بالتعاون مع هرنان ليحييه الذي يقوم باعداد باليه « استراحة » التي يضع موسيقاها اريك ساتي عام ١٩٢٤ . ويقول الموسيقيون ، في تلك الفترة ان فن التصوير قد علمهم أكثر مما تلقوه من أساتذة الموسيقى أنفسهم، ويبرز انذاك في مجال التصوير السوريالي ماكس ارنست وفرانسيس بيكابيا .

فالسورية اذن ليست حركة أدبية فقط ، ولكنها تظهر كصدى للتطور العام للفكر الحديث ، وكوريثة للتجارب الجمالية (الاستطيقية) التي تعاقبت على الفن ، بدءا من المرحلة الرومانسية ، فتأثرت بعمقها بالانعكاسات الاجتماعية والنفسية والاخلاقية التي واكبت وتبعت الحرب

العالمية الاولى . ان هذه الحركة تحيط بكل أشكال التعبير الفني لانها تدعي القدرة على مناقشة مادة الفن ولغته ومدلولاته ...

أما الشعر فيلعب دورا رائدا في الحركة السورية ، وهو الدور الذي بوكله اليه أبولينير . ولكن هذا الشعر الرائد ، بخلاف أكثر المدارس الادبية السابقة ، ليس سوى وسيلة للتجريب والتعبير في رأي رئيس هذه الحركة أندريه بريتون ، وهو يطلق على الشعر تعبير « الحياة الحقيقية » فالشعر عنده هو : « مدخل ومقدمة تجريبية للوصول الواقعي الى طريقة في الوجود » . وهو يشتمل على كافة مظاهر الحياة التي كان يتحدث عنها كل من لوتريامون ورامبو .

من السورية الى الالتزام :

من بين الشعراء الجدد الذين نشرت مجلة « الادب » كتاباتهم الجريئة ، يقف في الصف الاول الى جانب أندريه بريتون ، كل من روبير ديسنوس وبول ايلوار ولويس أراغون . انهم مختلفون جدا في احساساتهم الفنية وأساليبهم ، وكان لا بد لهم أن يسلكوا الطريق نفسها ، وأن يمروا خلال سنوات طويلة من الشعر التجريبي الى الشعر الملتزم . فكانت السورية بالنسبة اليهم مرحلة أقروا جميعهم بأهميتها الرئيسية . وقد أعلن ايلوار في احدى محاضراته عام ١٩٣٧ أن أندريه بريتون « كان وسبقه بالنسبة اليه أحد أولئك الرجال الذين علموه أكثر من غيرهم كيف يفكر » .

ان ايلوار وأراغون اللذين يظهران في مكان جيد في لوحة ماكس ارنست « لقاء الاصدقاء » والتي صور فيها نشاط المجموعة السورية ان هذين الشاعرين يفكران بأنه ينبغي العمل في مجالات تتجاوز

السورية وأنه لابد من العودة الى ينابيع الاحساس الفردي والجماعي .
وتصدمهما أحداث عام ١٩٣٦ الاجتماعية والسياسية ، ثم الحرب
العالمية الثانية ، فيتسع مجال انعكاس هذه الاحداث على مشاعرهما
وأفكارهما .

وتطرح عام ١٩٣٠ مسألة الالتزام السياسي على السورية، ولكن
أندريه بريتون ، برفضه المطلق لكل « رقابة » ، يجيب على تلك المسألة
بالنفي . أما أراغون وابوار فيجيبان على العكس من ذلك ، بانضمامهما
الى الحركة الاشتراكية وبأخذان ، خلف هذا الالتزام السياسي المحدد ،
بالكشف عن القدرة الغنائية للمشاعر الوطنية ، والتصوّف في مصراع
الحرية ، ويصبحان بذلك أكبر شاعرين للمقاومة ضد الغزاة النازيين ، لان
كلا الكاتبين قد أعلنّا في السنوات التي تلت عام ١٩٣٠ بأنهما يستشعران
تدريجيا عدم جدوى السورية ، وأرادا اقامة الرابطة بين حرية اللغة
وحضور الاحداث .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

انتصار الصدق :

وهكذا ، فقد أقام أراغون وابوار الاتصال مع الوقائع الملموسة
في العالم ، ومع الانسانية ، واستخدما في لغتيهما « الكلمات اليومية »
كما لو أن السورية قد فتحت أمامهما كشفا جديدا يجعلها تبدو قديمة
جزئيا ، مع أنها كانت مقدمة ضرورية لاعمالهما . وها هو ابوار يهتف
في كتابه « الوردة العامة » ١٩٣٤ « كل شيء جديد ، كل شيء مستقبلي » .

هذا الجديد وهذا المستقبل هما موضوعا الادب الغنائي الدائمين :
الحب والموت ، الوطن والحرية ، وتمر استعادة هذه القضايا ، عبر صدق
التجربة الداخلية والاجتماعية ، وبلغة حرّرها من العوائق الاصطلاحية

التمرد السوريالي ٠٠ وستمنح هذه الاستعادة الكاتبين الكبيرين مستقبلا روحا مبتكرة جديدة : وهذا على الاقل هو احساس الشعارين اللذين كانا يؤمنان بما يريدان قوله .

والآن ، سنستعرض في هذه المقالة لثاني هذين الشعارين ، وهو بول ايلوار ، فنتحدث عنه ببعض التفصيل قبل أن نقدم نماذج من اشعاره المترجمة .

يولد بول ايلوار في سان دوني (١٨٩٥ - ١٩٥٢) ويظل دائما محتفظا بحنينه الى مناظر الضواحي الرائعة ، ويتأثر ، خلال فترة شبابه الاولى بالشعراء الجماعيين (١) ، ولكنه يمرض ويضطر الى قطع دراسته ، ويكتسب مبكرا انطباعات كثيرة عن العالم ستترك آثارها على حساسيته التي تتوزع بين الشقاء والسعادة ، تلك الصور التي يكشف تقابلها عن علاقات خصبة .

ARCHIVE : المرحلة السوريالية

وفي العشرين من عمره ، يأخذ ايلوار في البحث عن لغة خاصة ، فتقدم له السوريالية الاساليب الفنية (التقنيات) والتجديد اللفظي : فتنهل غنائيته من السوريالية ما يسميه بـ « علم الكلمة » الذي يجهد ايلوار في توسيع ميدانه فيتفرغ فيما بعد لدراسة « الشعر العقوي » أو « علم تطور الامثال الدارجة » . انه يريد أن يكون وريث التراث الشعري الفرنسي الذي يقوم بالكشف عن كنوزه المجهولة . فيبدأ باعداد تاريخ « أنتولوجيا » لشعر الماضي ينشر عام (١٩٥١) .

(١) الجماعيون Umanimistes : اتجاه أدبي في تصوير الحياة الاجتماعية ومن انصاره

جول رومان وجورج دوهايل ، ودوس باسوس في الولايات المتحدة .

ويظهر ديوانه الشعري الاول الهام عام ١٩٢٦ وهو « عاصمة الالم » ثم يتبعه عام ١٩٢٩ المجموعة الشعرية الحب والشعر . وهذان الديوانان يميزان المرحلة السوربالية من حياته .

السر والبساطة :

وتبدأ مرحلة جديدة مع ظهور « العيون الخصبة » عام ١٩٣٢ ، حيث تظهر العودة الى البساطة الملموسة للغة ، دون أن يفقد الحلم والخيال تأثيره فيها . ويطبع هذا الاندماج بين السر والبساطة كل آثار ايلوار اللاحقة . انه يدفعه ليجاد التماس مع الانسانية جمعاء بواسطة الشعر وتتفتح موهبته الشعرية التي تصنع أصالته الادبية ، وتتشكل القصيدة التي ينسجم فيها الوضوح والغموض انسجاما عميقا .

الشعر الملتزم :

ويلتزم ايلوار نهائيا أثناء الحرب الاهلية الاسبانية (غرينكا (١) في مجموعته الشعرية (المجرى الطبيعي) ، وعام ١٩٣٦ يكتب « لقد أتى الوقت الذي أصبح فيه لكل الشعراء حق وواجب تدعيم ما أدخلوه بعمق في حياة الناس وفي الحياة الجماعية » .

وعام ١٩٣٨ ، تأتي مجموعته الشعرية « المجرى الطبيعي » لتوضح آراءه بشكل اكبر . وتدفع الحرب العالمية الثانية ايلوار أكثر في هذه انطريق ، فيكتب : « الكتاب المفتوح ١٩٤٢ » و « شعر وحقيقة ١٩٤٢ - ١٩٤٣ » و « في لقاء الالمان ١٩٤٤ » . ولكن الالتزام لا يستبعد عند ايلوار

(١) غرينكا : مدينة اسبانية عريقة ، دمرها الطيران الالماني النازي بناء على طلب الديكتاتور فرانكو . وقد الهم حادث احراقها الفنانين امثال بيكاسو الذي رسم لوحة « انتصار غرينكا » ، كما كتب ايلوار قصيدة عنها .

البحث الموازي عن الكمال اللغوي ، ذلك العمل الذي يشهد عليه خصوصا كتابه « الشعر المستمر » الذي يصدر عام ١٩٤٦ ، أما مجموعته الشعرية « قصائد سياسية ١٩٤٢ » فتدخل ضمن اطار شعر المناسبات .

□ □ □

مختارات من أشعار ايلوار :

١ - قصائد من المرحلة السورية الاولى :

من المجموعة الشعرية « أشعار ١٩١٤ » :

القلب على الشجرة ، ولم يكن ينبغي لكم سوى أن تقطفوه
ابتسامة وضحك ، ضحك ورقة تفوق المعنى .
قلب مقهور ومنتصر ومضيء ، صاف مثل ملاك
ومرتفع نحو السماء ، مع الاشجار .

ARCHIVE

<http://www.ashar-sakran.com>

في البعيد ، تكن الجميلة التي تريد أن تناضل ،
والتي لا تستطيع ذلك ، وهي راقدة عند قدمي الهضبة
فلتكن السماء بائسة أو رقراقة
فلأمكن أن نرى تلك الجميلة دون أن نحباها

الايام مثل الاصابع تثني مفاصلها
والزهور قد يبست ، وضاعت البذور
والقيظ ينتظر الصقيع الكبير الابيض

في نظر الميث المسكين ، لنرسم على القيشاني

□ بول ايلوار : بين السوريلية والالتزام □

موسيقا ، وأذرع بيضاء عاريه
فالرياح والعصافير تتحد - والسماء تتبدل •

□ □ □

من المجموعة الشعرية « الواجب والقلق » ١٩١٧ :

الى غرنان فونتين الذي قتل في ٢٠ حزيران ١٩١٥

هناك أشياء كثيرة
وينبغي أن تنتبهوا
انكم ملومون جدا ،
هكذا كان يقول المتوحشون
وأنت لم تكن تغفر لهم
عندما كنا معا •

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Saah.net.com>

ذات مساء ، انحلت المدينة
وأنت ستعزف على الكمان
ونفترق عند الباستيل
« هل تفكر في وظائفك المدرسية ؟
الحريّة للصبيان ...
وكنا نبحث عنها
عندما كنا معا

في كل الارض ، يتألم الانسان
ووجهك يمزق الارض ...

فلقد تركوك على حافة الهاويه !

أما الآن ، فهم وحيدون تماما •

□ □ □

- كي أعيش هنا (١٩١٨) -

صنعت نارا ، بعد أن غادرني الشفق اللازوردي

نارا لاكون صديقها

نارا لتدخلني في ليل الشتاء

نارا لأعيش أفضل

لقد أعطيتها ما كان النهار قد أعطاني آياه

الغابات والادغال وحقول القمح والكروم

الاعشاش وعصافيرها ، والبيوت ومفاتيحها.

لقد عشت فقط على صوت اللهب الذي يفرقع

على عطر حرارته فقط

وكننت مثل مركب ينزلق على الماء المغلق

مثل ميت ، لم يكن لدي سوى عنصر واحد •

قصائد من أجل السلم (حزيران ١٩١٨) :

كل النساء السعيدات

قد وجدن زوجهن - انه عائد من الشمس

لكثرة ما يحمل معه من الحرارة

انه يضحك ، ويقول مرحبا بكل رقه

- مشرقة ، وصدرها محدّب بشكل خفيف
يا امرأتي القديسة ، أنت بالنسبة الي أفضل مما كنت سابقا •
أو كنت معه ، ومعه ومعه ومعه •••
كنت أحمل بندقيّة ، أو صفيحة ماء - انها حياتنا •
كان لي وجه لا فائدة منه ، لفترة طويلة
أما الآن
فلي وجه يمكن أن يحب •
وجه لأكون سعيدا •

□ □ □



كل زهور الثمار تضيء حديقتي
أشجار التزيين ، والأشجار المثمرة
وأنا أشتغل ، وأنا وحيد في حديقتي
والشمس تلهب يدي بنار داكنه
من المجموعة الشعرية : - الموت من عدم الموت ١٩٢٤ -
عري الحقيقة

« أعلم ذلك جيدا »
ليس لليأس أجنحة

ولا للحب
وليس لهما وجه
ولا يتكلمان
وأنا لا أبرح مكاني
ولا أنظر اليهما
ولا أكلهما
ولكنني لا أزال حيا مثل حبي ويأسي

□ □ □

لماذا أنا جميله ؟
لأن سيدي يغسلني ،

□ □ □

ARCHIVE
شيطان الهرب يستنشق ريش
هذا العصفور الذي لوّنته نار البندقية بلون رمادي
وشكواه تهتز على طول جدار الدموع
ومقصات العيون تقطع الترنيمة
التي تتبرعم في قلب الصياد .

□ □ □

على السماء المهذمة ، وعلى زجاج الماء العذب
أي وجه سيأتي ، أية قوقعة رنانه ؟
تعلن أن ليل الحب يلامس النهار
مثل فم مفتوح يرتبط بفم مغلق

□ □ □

مجهولة هي ، وقد كانت الشكل الاثير لدي
هي التي كانت تنزع الهم عني ، لانني انسان
واراها وافقدها واحتمل
ألبي مثل قليل من الشمس في الماء البارد •
من المجموعة الشعرية (الحب الشعر ١٩٢٩) :
أولاً :

قلت لك ذلك من أجل الغيوم
قلت لك ذلك من أجل شجرة البحر
من أجل كل موجة ، من أجل العصفير في الاوراق
من أجل حصي الضجة
من أجل الايدي الاليفة
من أجل العين التي تصبح وجهها أو منظرها
والنوم يعيد اليها سماء ألها
من أجل الليل الذي نشربه
من أجل شبكات الطرق
من أجل النافذة المفتوحة على جبين مكشوف •

□ □ □

لقد قلت لك ذلك من أجل افكارك ومن أجل كلماتك

□ □ □

أنت الوحيدة وأسمع الاعشاب في ضحكك
أنت ، رأسك هو الذي يختطفك
ومن أعالي أخطار الموت

تحت الكواكب المختاطة بمطر الوديان
تحت النور الثقيل ، تحت سماء الارض
وأنت تلدين السقطة

لم تعد العصافير ملاذا كافيا
ولا الكسل ولا التعب
وذكرى الغابات والسواقي الهشة
في صباح النزوات
في صباح المداعبات المرثيه
في الصباح الباكر ، في غياب السقطة

تضل مراكب عينيك
في « كشكش » الاختفاءات
والهوة تنكشف ، وعلى الآخرين أن يردموها
فالظلال التي تخلقينها ليس لها حق في الليل

□ □ □

بمداعبة واحده
أجعلك تلتمعين ببريقك كله •

□ □ □

كان ينبغي أن يجيب وجه واحد
على كل أسماء العالم •

□ □ □

من مجموعة : « الوردة العامة : ١٩٣٤ »

من كل ما قلته عن نفسي ، ماذا بقي ؟
لقد احتفظت بكنوز مزيفة في خزائن فارغه
وسفينة لا فائدة منها تربط طفولتي بضجري
الغابي بتعبي
وانطلاقي بأوهامي
والعاصفة بقبة الليالي التي اكون فيها وحيدا
وجزيرة دون حيوانات بالحيوانات التي أحب
وامرأة متروكة بامرأة جديدة تماما
محظوظة بجمالها
وهي المرأة الوحيدة الواقعية
هنا وهناك
والتي تعطي الأحلام للغائبين
ويدها الممتدة نحوي <http://Archivebeta.Sakhri>
تنعكس في يدي
أقول مرحبا ، وأنا أبتسم
ولا أفكر بالجهل
ويسيطر الجهل
أجل ، لقد أملت بكل شيء
ويئست من كل شيء
من الحياة ، من الحب ، من النسيان ، من النوم
من القوة ، من الضعف
ولم يعد يعرفني أحد

فا ناسمي وظلي قد أصبحا ذئبين •

□ □ □

من مجموعة « العيون الخسبة » ١٩٣٦

لا يمكن لأحد أن يعرفني
أفضل مما تعرفيني

عيناك اللتان ننام فيهما
كلانا

قد صنعنا لأنوارك كرجل
قدرا أفضل من ليالي العالم

عيناك اللتان أسافر فيهما
قد أعطتا لحركات الطرق
اتجاها منفصلا عن الأرض

في عينيك ، أولئك الذين يكشفون لنا
عن وحدتنا اللامتناهية
لم يعودوا ما يظنونه بأنفسهم

لا يمكن لأحد أن يعرفك
أفضل مما أعرفك -

□ □ □

٢ - شعر الالتزام

من مجموعة « المجرى الطبيعي » :

انتصار غرينكا

- ١ -

يا عالم الاكواخ الجميل
عالم المناجم والحقول

- ٢ -

وجوه تصلح للنار ، وجوه تصلح للبرد
لرفض في الليل ، للاهانات ، للضرب

- ٣ -

ARCHIVE

<http://Archivebot.net/>

وجوه تصلح لكل شيء
هذا هو الفراغ الذي يحملي فيك
فان موتك سيكون مثالا للاخرين

- ٤ -

الموت قلب مقلوب

- ٥ -

لقد جعلوك تدفع ثمن الخبز
والسماء والارض والماء والنوم
وبؤس
حياتك

- ٦ -

كانوا يقولون انهم يريدون الفهم الجيد
وكانوا يحاكمون • الاقوياء يحاكمون المجانين
ويقدمون الصدقة ، ويقسمون القرش الى اثنين
كانوا يحيئون الجثث
ويتعجبون انفسهم بالمجاملات •

- ٧ -

لقد استمروا في شرودهم ، وبالفوا ، وليسوا من عالمنا •

- ٨ -

للنساء والاطفال كنز واحد
من الاوراق الخضراء والحليب الصافي
والديمومة
في عيونهم الصافية

- ٩ -

للنساء والاطفال كنز واحد
في العيون
والرجال يدافعون عنه بقدر استطاعتهم

- ١٠ -

للنساء والاطفال نفس الورود الحمراء

في العيون

فكل منهم يظهر دمه •

- ١١ -

الخوف وشجاعة الحياة والموت

الموت الصعب جدا والسهل جدا

- ١٢ -

أيها الرجال الذين غنوا ذلك الكنز

أيها الرجال الذين أفسدوا عليهم ذلك الكنز

- ١٣ -

أيها الرجال الحقيقيون الذين يغذي اليأس فيهم ؟

النار التي تلتهم الأمل

لنفتح معا آخر برعم للمستقبل •

- ١٤ -

أيها المنبوذون ، ان موت وأرض وبشاعة

أعدائنا لها لون

الليل الرتيب

ولكننا سننتصر عليهم •

من مجموعة « شعر وحقيقة » ١٩٤٢ :

حريّة

على دفاتري المدرسيه

على مقعدي ، وعلى الاشجار
على الرمل وعلى الثلج
أكتب اسمك

على كل الصفحات المقروءة
على كل الصفحات البيضاء
حجر* ، دم* ، ورق* أو رماد
أكتب اسمك

على الصور المذهبة
على أسلحة المحاربين
على تاج الملوك
أكتب اسمك

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

على الادغال والصحراء
على الاعشاش وعلى الازهار الصفراء
على صدى طفولتي
أكتب اسمك

على أعاجيب الليل
وعلى خبز الايام الابيض
على الفصول المخطوبة
أكتب اسمك

على مناديلي اللازوردية
على مستنقع الشمس الأسن
على بحيرة القمر الحي
أكتب اسمك

على الحقول ، على الافق
على أجنحة العصفير
على طاحونة الظلال
أكتب اسمك

على أنفاس الفجر
على البحر ، على المراكب
على الجبل الإهملق
أكتب اسمك

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

على زبد الغيوم
على عرق العاصفه
على المطر الكثيف العديم الرائحة
أكتب اسمك

على الاشكال الملتمة
على أشكال الالوان
على الحقيقة الفيزيائية
أكتب اسمك

على الشعاب المستفيدة
على الطرق المفتوحة
على الساحات التي تفص بالناس
أكتب اسمك

على المصباح الذي يضيء
على المصباح الذي ينطفئ
على منازلتي الممتعة
أكتب اسمك

على الثمرة المقسومة نصفين
للرمة ، وغرفتي
على سريري ، القوقعة الفارغة
أكتب اسمك



<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

على كلبي النهم والرقيق
على أذنيه المنتصبتين
على قائمته الخرقاء
أكتب اسمك

على عارضة منزلي الخشبية
على الاشياء المألوفة
على فيض النار المقدسة
أكتب اسمك

على كل جسد متناسق
على جبين أصدقائي
على كل يد تمتد
أكتب اسمك

على زجاج المفاجآت
على الشفاه المنتظرة
فوق الصمت بكثير
أكتب اسمك

على ملاجئي المهذمة
على مناراتي المنهارة
على جدار ضجري
أكتب اسمك

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

على غياب يخلو من الرغبة
على العزلة العارية
على درجات موتي
أكتب اسمك

على الصحة العائدة
على الخطر الزائل
على أمل دون ذكرى
أكتب اسمك

وبمقدرة كلمة
أبداً حياتي من جديد
فقد ولدت كي أتعرف عليك
وأسميك
أيتها الحرية

□ □ □

شجاعة

باريس بردانة ، باريس جائعة
باريس لم تعد تأكل الكستناء في الشارع
باريس قد ارتدت ملابس عجوز بالية
باريس تنام واقفة دون هواء في المترو
مزيد من الشقاء يفرض أيضاً على الفقراء
وتعقل وجنون
باريس الشقية
هو الهواء الصافي ، هو النار
هو جمال وطيبة
عمالها الجائعين
لا تطلبي النجدة يا باريس
انك تعيشين حياة لا مثيل لها
وخلف عري
شحوبك ونحولاك
كل ما هو انساني ينكشف في عينيك

باريس ، يا مدينتي الجميلة
الدقيقة مثل ابرة قوية ، مثل سيف
أنت حاذقة وعالمة
أنت لا تحتلمين التعسف
فهو الفوضى الوحيدة بالنسبة اليك
سوف تتحررين يا باريس
يا باريس المرتعشة مثل نجمة
يا أملنا الناجي من الموت
سوف تتحررين من التعب ، من الطين
فلنكن شجعانا أيها الاخوة •
نحن الذين لا نلبس القبعات
ولا نحتذي الجزمات ولا نلبس القفازات ، وليست تربيتنا رفيعة •
ولكن شعاعا من النور يضيء عروقنا
ويعود نورنا اليها <http://Archivebeta.Sakhril.com>
فان أفضل الناس بيننا قد ماتوا لاجلنا
وهذا هو دمهم يلتقي بقلبنا
وهذا هو الصباح من جديد ، صباح باريس
بداية الخلاص
وامتداد الربيع الوليد •
فتسقط القوة الحمقاء
وهؤلاء العبيد ، أعداؤنا
اذا أدركوا ذلك
اذا كانوا قادرين على الادراك

فسينهضون

« عدد قليل من المفكرين الفرنسيين قد وضع نفسه في خدمة العدو »

انهم المذعورون المخيفون
وقد حانت الساعة التي سنقوم فيها باحصائهم
لان نهاية مملكتهم قد آتت .

لقد امتدحوا جلادينا أمامنا
وفصلوا الشر لنا
ولم يقولوا أي شيء ببراءة

قالوا كلاما جميلا عن التحالف
وغطوه بكل ما ينهش الحياة
لان فمهم يؤدي الى الموت

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولكن ، ها قد دنت الساعة
لنحب بعضنا ولنتحد
لنقهرهم ونعاقبهم

غابرييل بيري (١)

رجل مات ، ولم يكن يدافع عن نفسه
إلا بذراعيه الممدودتين للحياة

(١) غابرييل بيري : مناضل كبير ضد النازية ، قبض عليه العدو وأعدمه .

رجل مات ، ولم يكن لديه طريق أخرى
سوى تلك الطريق التي تكره البنادق
رجل مات ، وهو مستمر في النضال
ضد الموت وضد النسيان

لأن كل ما كان يريده

كنا نريده أيضا

ونريده الآن :

أن تكون السعادة هي النور

في أعماق العيون ، في أعماق القلب

وأن تسود العدالة على الأرض

ARCHIVE

هناك كلمات تحيي

وهي كلمات بريئة <http://Archivebeta.Sakhril.com>

كلمة حرارة ، كلمة ثقة

حب عدالة ، وكلمة حرية

وكلمة طفل ، وكلمة لطف

وبعض أسماء الزهور ، وبعض أسماء الثمار

كلمة شجاعة ، وكلمة اكتشاف

كلمة أخ وكلمة رفيق

وبعض أسماء البلدان والقرى

وبعض أسماء النساء والاصدقاء

فلننصف الى تلك الكلمات اسم بيري

لقد مات بري من أجل ما يحيينا
فلنخاطبه بأخوة ، أن صدره مثقوب
ولكننا أصبحنا بفضلته نعرف بعضنا بشكل أفضل
ولنخاطب بعضنا بأخوة ، فإن أملنا لا يزال حيا .

مراجع المقالة :

1 — Histoire de la littérature Française — Gustave , Lanson ,
Complétée et remaniée 1850 - 1950, par Gaul Tuffrau.

2 — Les grands auteurs français du xxème Siècle A. Lagarde et
L. Michard.

Avec la collaboration de R. Audiliert et H. Lemaitre et Ho. Van
der Elsf.

3 — Manuel des études littéraires Françaises - Castex et Surer.

4 — Paul Eluard — Poèmes (édit. Larousse, luire de froche).

جبوس

• ترجمة: د. نذير العظمة

• إيتيل عدنان

إيتيل عدنان شاعرة لبنانية من أصل دمشقي ، تكتب باللغتين الفرنسية والانجليزية وهي فنانة تعنى بالرسم تعيش حالياً في سانفرانسيسكو من الولايات المتحدة حيث تعلم الفلسفة وتهتم بالثقافة والفنون العربية .

وذهب الملك ورجاله الى القدس ✽

عند الجبوسيين سكان البلاد : . .

» وقال داوود ذلك اليوم : كل من

يصعد الاودية ويقتل الجبوسيين

حتى الاعرج والاعمى اللذين

يكرههم داوود

سوف يسمى رئيساً

ورائداً » .

((— التوراة الكتاب الثاني

سموئيل الفصل الخامس . الفقرة

السادسة —))

جبوس

القلب الوضيع الذي يؤله البرد

✽ قرأت هذه الترجمة الشاعرة وزكيتها ، وساعدت سيمون فنال على فهم دقائق النص

الفرنسي .

يتقياً مصرنا على اسفلت طرق غريبة
ويملاً السماء بوحل حقدنا .

لقد استيقظ جبوس

ايتها العيون الحائية لليالي باريس
لقد أغمضناك في حشجة هذا
النسيان

والتقينا برامة دون رحمة
لحب دون وجه يفعل في جذور
مقراتنا فعل الأسيد
جبوس ينام وينهض
(كم يستفيدون من بطئه)

ARCHIVE
http://Archive.org
جبوس يتقدم موكب
الملائكة يحلم زهر الخرنوق الذي
يغطي قبره

يا لها من رائحة لمشرق على العالم !
له عينا صقر طائرة
في بطنه واناع راقدة في
الشعر
(إنه ينام)

ايتها الطائرات العامودية المغطاة بالدم
خبئي وجهك لأن رائحة
الجثة العربية تحمل معها شؤم الكارثة !

ارسلني لنا مناشيرك :

شالوم ونبالم !

جبوس ازحف على بطنك

تقدم الى البئر اشرب

استنفذه اسبح في

البترول تحت الأرض واصعد مكتسباً بالسواد

جبوس سوف يعود

ليوزع الأرض

على الأرض

ليغزو القمر

بلادرع

ليقتلع الشمس

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

من فلکها

ويحول مدار الجنس البشري

جبوس :

هو نموذج سلمان ابن البدوية

الحيوان ساكن الشجرة نخلة

بالف غصن

كربيع يزحف جبوس تحت الأرض

يعشق امرأة جبوس يعشق الأرض العربية

يحمي الورود البرية المسائرة

نحو تدمر

جبوس :

لقد استيقظ حنان جنسك الليلي

إنه صحراء تزهرا !

انه رعد الذين لم يرحلوا

أبدًا ولاء شعوب كتعمان التي

كانت هنا قبل داوود والتي بعد دانيال ستبقى

لقد اختارت ذرايك خيام الطين

الأطفال المتورمون والنساء

المحترقات (ما من منفى للام هناك ...)

كم هو ساخن المحيط

كم هو سريع البحر تحت خطوات

الهاربين أطفالك يا كتعمان ظلوا هنا .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

جبوس :

انك ستاتي ...

يا سيد الاشراق

الذي يتحدى النور محمولا

على أسلاك الصوت تخرق الجدران

تجلياتك ، سيكون هنالك شعب

مرئي كالهواء أكثر سيولة من الماء

أكثر سكوني بنار أقوى من اشاعات

هيروشيما الجديدة هيروشيما

يزحف جبوس تحت الارض كربيعة

يعشق امرأة يعشق الارض العربية

جبوس :

تركونا نتعفن في ظل
النساء الفاحشات نحصي رجالنا ونبيع الكيلو
من لحهم في أسواق لندن بالثمن
البخس

لقد اشعلنا الشموع عندما
كان علينا أن نقاتل وغنينا
الأغاني في كرونا المحروقة
لأننا خفنا . . .

أشجار التين مغطاة بالجراد
العدو يأكل كل ما يتحرك
يا للصوم الصلوات لقد جئتم
تكسون الأرض بالقبور الطرية
كي نطهر الليل
علينا أن نحرق أجدادكم

يقول جبوس :

« لا فردوس لنا ولا جحيم
بل كواكب تدور
تدور »
إنه يدرب جيوشه في حقول
الشوك وها هو ذا يقودها اليوم
في سهول المناجم حيث المطر من البترول .

إن من جراحة البترول تريد منا
أن نقتلعه من أحشاء أمنا
لكي تَطْر السَّماء من جديد : طيور
ليلية أحرقتها الشمس
لا تحسد رجالنا أبداً النابالم
صيركم أخوة

إنني جئت من أرض عامودية
أسلافي ولدوا في منابع
الأنهار الكبرى
يغزونا مزوروا التاريخ ولصوص
السراديب الأرضية عفتنا الحي الذي
يهيمن على مجلس نوابنا أخطر من أنماغي البحر
التي التفت حول السندباد .

ثمة ربيع تحت الأرض
إنه بعث الأحياء
لا الموتى

لقد حبسوا عذراواتنا
في الجرار لكي
يترمل مالك علولة

في نظام جبوس :

التجعدات سوف تستوى في البحر

وتتوقف الآلات عند سهيل الاحصنة

المستشفيات تطل على حدائق

النحل إن ريح حلب تهب من الرباط تعلن

العاصفة والاطفال منذ الولادة

الكاهن البابلي .

يا مركب البلور الكبير

في المحيط الأحمر أضعت

حدود هذا العالم وانقلبت

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لجبوس أخ زنجي أول

مؤذن للنبي معاً

يتهجيان الثورة

عكساً

آه يا رسل الرسالة !

كل رجل ينشطر الى توأمين

الشامانيون الجزائريون يمشون

حتى البحر الأحمر والجوع

يجعلهم يلتهمون خف
الجل

يا فلسطين

أيتها الغريقة !

يجب أن نصغي

الى أنين وديانك في الليل

حيث الموتى لهم دموع أيضاً

سوف تشربين كمية كبيرة من الدماء

والغثيان في قلبك

سوف تبعثين وأنت تقيسين

الأرض بأظفارك

أرض كنعان
تاج من الشوك
http://Archivebeta.Sakhril.com
جبوس هو المرشد

مجنون القربة والفرس السوداء

انه السيف ورصاص الزهر أيضا الذي ينفجر

في البطن

انه المسار الليلي الذي يذهب

الى ما وراء القمر حتى زحل

الذي يبكي

أيتها الأملاك سوف

نغزوك لاننا غير قادرين على العودة

الى قرانا

جبوس هو ابو السيكلوب .
نموذج اصيل للساحر شامان جبوس ابن الام
الحيوان ساكن شجرة النخل
لألف غصن ازحف على بطنك
تقدم الى البئر اشرب استنفذه
اسبغ في البترول العميق واصعد
مكتسيا بالسواد .

جبوس إنه العودة يوزع
الأرض يقول إن المادة للجميع يربط
العرى يعيد إله الشمس رع
الى الكون
يا ابتها المدينتان المبتتان في القرن الحادي والعشرين
بيروت و
علينا اليوم أن نتعلم العدا إذا
أردنا الحياة
يجب أن نحصى عذابات صرفند

في المنحدرات الجيولوجية
لآسيا الغربية عقبان
تشكر السماء على وثرة
غذائها : أكثر عدداً من الحصى
هم العرب الموتى في تلك الصحراء !
تدربنا على الالم في الجزائر

عشنا لحظات سعيدة

وعلينا أن نبدأ من جديد

ضجيج ...

سوف نفتت جبالنا لكي

لا يكون فيها أي ...

الحقيقة سوف تنبش من بئر

جيوس يأمر الظلال التي تتبعه

بأن تنحل في شمع البنزين

على رفوف صيدليات الحي

لقد استيقظت الريح ...

إننا جالسون في دور السينما الرطبة

نرى ال... (....) النفايات يبارك

الشاشات الفضائية

<http://Archive>

لقد أحببنا . .

علينا أن نسهر

(...)

خيائته المزمنة تجعلنا نمثليء بالغثيان

آه يا شمس الماضي

رع شمس مردوخ

رواد الفضاء هم الذين غزوا القمر

لكي تعود في عظمة ترمك

وحيداً على سفنك

يتها الوحداية الهندسية التي يعلنها جوبس :

الجوع

الذل

العطش

الخوف

المرض

الوحدة

الجنون

أحمال مراكب الشمس

في المنطقة الحرة من مرفأ بيروت

سفننا سيارات مصفحة

يتودها رجالنا في

معارج السماء البؤس بوق

للجاز يولول في ساحة البرج

على طريق العودة (رحلة

التمر - الارض) على قضبان سكة الحديد الكونية

يقول جوبس :

رايت الارض كرة مغناطيسية الاصيل

تحرق جوانبها مؤلفات إشعاعية أصيلة

شمسية تتكلم بلغة ذرية

كهربائية

مغنطيسية

تقول :

« أنا المركبة الكونية

واخوتي في الدم (البدوي الاولی)

نحروا على المذابح الزئبقية

لأنهم حقیقتي الفذة »

جیوس الكنعماني مؤسس القدس

يقول للمصلوب :

تعذبت ثلاثة أيام

وتعذبت أنا ثلاث آلاف سنة

الفدائي هو كتابة لاصقة بالأرض

يندفع الى الامام جريحا

بلعابه يلام جرح الأرض

المفتوح ، وفي احتضاره

يلمح مطراً من النيازك ...

إنه ينسى في الموت أنهم جففوا

الصهاريج كي نأكل الديدان

ولكي نعتبر أن السعادة جنازة مائت

... لكننا غيرنا موضع ال (. . .)

وهم لا يعرفون أن الريح

طائر يسبح)

كان شرف أطفالنا يفوس غامضاً
في أنهارنا الهادئة
في أعماق سبخة قابلت شعبي
وقرعت أجراس الحرية
الآن أعلن عليكم
النابالم
الجوع
خداع العدو
الطائرات المعلقة على علو منخفض متفجرات الليل
التعذيب
وجثث أكثر عدداً من يراقات مستنقع عفن
البراءة جريمتنا
أعلن كذلك
تقهقر الموتى
بنادق يحملها الأشباح
نباتات لا تنمو إلا في الشتاء
دبابة لزجة من الدبس تخترق الجبهة
وجنود سنة الألفين
الفوضى الخلاقة
في عنادنا الإلهي .
لجوس ملايين الجذور له رؤوس لا تحصى
الجسد يبرعم ويتكاثر إنه جميعنا وكل

واحد منا منذ التفتح الأول للزمن جبوس
هو الشعب في الفضاء — الزمن
سيكون له ان يولد ان يكبر ان
يموت
سيكون له ان يأكل ان يكون عارياً ان
يسبح
ان يقتحم المحيط الخامس ان يملأ كوكب الزهرة
بنفثه وسوف يجعل اورانوس أهلاً
بالسكان

سيخرج الناس من مجارير الجرذان لأن
العالم واسع . فليغدِ الرغبة الواحد كل القبيلة .
سيقول الأب لابنه : أنت أخي

رأيت ترى جيلي ذات الأسماء المؤنثة : <http://Ar>

السامرة ، القنيطرة ، قنقيلية ، تجهض
أطفالاً ميتين :
أيتها الكواسر ذات العيون الغريبة يا شاربة
القار

لا شيء وأمر لديك إلا الحقد
لقد أجبرت نساء جرش على
مضغ الالماس في مدرجات لا تجد
الأنعامي فيها ما تأكل
العرب ليسوا الا

في بدء العالم أعدم جبوس
ولكن عينيه الفرات ودجلة
سورية أحشاؤه الاردن (. . . .)
وادي النيل فخذ الطويل قدم في مراکش
وقلبه النازف مرصع في مكة وشعره لا يزال
ينبت على جبل صنين .
الصورة الإشعاعية لوجوده في يوم هيروشيما
كالعرق الناضح على حائط القدس .

أعرف



القمير الكلي

والحزن المتباطئ

واقواس تزح المسجومة

الوجوه التي خينت تملأ

شاشات التلفزيون تتطلع نحو

سماء الجوارح كما لو أن هناك

مخلصا منتظرا آخر

غير قاذفات القنابل

المنفى الكلي .

أعرف

التوابيت تسير نحو الجامع

في مدينة حيث الورود تروى

بالغراز

العواصم الاجنبية

كحل ميت تفرز كذبها

والقمر الكلي

ينشب برائينه في القبيلة .

الحرارة المتقدة لملك القدس

الاول - رائد الفضاء يعود من القمر حيث

يسكن وحيدا تاركا الكتابات المبهمة

على جدران فوهة البركان - انها لا تزال

ايضا لاصقة على وجه الثلج الكوني .

يا شاربي البول يا شاربي الدم

يا شاربي البترول يا حديثي النعمة من النابالم

ايها الاغنياء الجدد من التفتيل

جلائش سيفهمند

سيفسه في عيونكم .

المدينة التي تلبس الريح والدموع

والاشعة فوق البنفسجية

ترجف

فلسطين ام الامم منتنة بالوباء

ممجدة بالذمائل الشمسية على وجهها

اغتصابات متكررة في الاحشاء .

لقد أسس الجيوسيون القدس

وأطفالها مكدسون تحت الخيام
يتفوهون بالشتائم التي تسود الهواء
فلسطين مصابة بالسرطان

ثلاثة عشر أخوة في الأمم المتحدة
ثلاثة عشر جبانا مخصبا
برائحة الزيت التي تنضج تحت الأرض
أيها الكوكب الذي تقيانه الثريا
يا فلسطين !

القلب الوضع يدمى لأنه يمشي
على الأسلاك المخيمات الشائكة باحفا
عن قوته في العليق وهواء
الجبال انه منقى لا ينتهي الا
باستنزاف الخلايا الشعبية
<http://Archivebeetle.com>

يتقيا الاغتصاب السرقة العدو العنيف :
أهانتنا لا تكن كفران تفرغص على القبور
بل سرن على المناجم أرضنا عطشى منذ آلاف السنين
وللماء طعم البترول
الطفولة التي تفوح برائحة العنب ستحطم
أيامها على دروب الحجارة . لقد جاؤوا بحديدتهم
الشالومي يهتكون حياء طرقنا بعنصرية
كالتفاح العفن

يا وردة حجر في تصر
هشام شمالي جرش أنت
رادار امتنا عين ساهمة
تسهر على الآثار الكهربائية
للمقاومين وتواك السمائي
يدفء عظام موتانا .

في نهر تحت الارض يحصي جبوس
مراكبه ويأخذ بيد الملكة
ويصعدان معا الى القدس .



ARCHIVE

<http://Archive.org>

القمر العاهر يتضاحك من الغزاة
العنصريين .
ايها اللصوص القديماء يا مرابي جوع
الاخرين انكم تسرقون حتى النور الاخير
من عيني رجل يعمر
ملوكم نهبوا شعر كتعان
حرغتم وحي اخناتون في مزاميركم
ونقلتم شريعة حمورابي على الواحكم
القمر في نكباته اكثر حنانا من
نسائكم المجندات

يمكنكم ان تحرقوا الغاب الذي ينمو في ضمير طائفة داخل حذاء جندي يتعفن
ليس لدينا الا الرؤية الكاملة لكي يكون الالم العربي مطلقا ولكي يستحق
نبوته تحت الشمس .

في الليل تحت الخيام يحلم الفلسطيني انه طريق المجرة وفلكيوا بابل
يقودونه نحو الاعاصير : الاعاصير الكونية المألوفة لديه ويزول تبعه .
جبوس يدخرنا :

التعذيب الذي هو كشف للروح ، التعذيب الذي يربط الرفقاء أكثر من آلية
الرغبة التعذيب الذي يحول الرجال اشباحا متداخلة ويعطي للذين فقدوه معنى
لوجودهم .

ولكن كيف نعلن الانتقام حين يزدهر العدو وكيف نصلي لـ (....)
وهو مزدوج المعنى بلا ندم وبلا لاقطة ومن نعاقب عندهما تصبح السعادة
شؤما والى من نتحدث عن الشر والناس لا يبالون . . .

حين لا يبقى الا الجراد
قوتاً للأعداء
وحين تجف آبار الاسفلت
حين تحدث الأرض الاموات عن مؤامرات
دبرها الاحياء

وحينما تغتسل القبيلة ببول الجمل
وتغتصب النساء في هواء حزين
الحر

حين تصير رؤى الصباح أكثر عددا
من رؤى بعد الظهيرة وتنمو الشجرة
في يوم واحد

حين السير على الاقدام يربط ازموار

بصرمند من جديد وحين لا أحد يتسول من الغيب
أو من الكلاب الحارسة هذا العالم .

عندئذ

سيخرج الاجداد من مراياهم

وسيمضي العرب عراة

ذات صباح جديد

في الريف الجزائري تحرر شعب

من الاميون العريق وانكشف الوجه المزدوج لجبوس

انه وحيد ومكتشف ونبي غايض

انه الشعب جميعا منذ الخلية

الاولى لما قبل التاريخ والانهار التي مستقو الد .

الثورة الدائمة هي النبوة الدائمة

لقد جننا في وضوح النهار وما

رأنا أحد . ان فوهة المدفع

هي مقدمة للفردوس

هناك حديقة يابسة ووردة

مغروسة في صفيحة

البرجوازيات المتعفنات

يهرقون العطر الفرنسي على

جثة طفل من الكرامة

لكي يحمين الليل الماكن

من النسيم الثرثار

الصعود البطولي سوف يحرر الحديقة

هناك في صفيحة

طفل يتعفن

آت من الكرامة

البرجوازيات الغزلات

سيحمن الليل من

الصعود البطولي

كي تموت الحديقة والوردة

تحت اقدامهن

من جسد الطفل سنصنع حديقة

هناك وردة يابسة

في حديقة ضيقة كصحيفة

البرجوازيات الناحلات كالجنث

يتظاهرن بالبكاء على طفل ميت

في الكرامة لكي يخفي

ليلهن الكسيح جماجمهن

المفتوحة الفارغة من كل رافة

الطفل الميت يرقد في الموت

الصعود البطولي سيحرر الحديقة

في أساطينها القديمة كان للشمس أسنان جبوس شمس دائمة يرتعش في

أمطارنا النادرة انه يصعد التلال في طرقات مزدوجة ويقول :

الحنان الليلي لأجل هؤلاء الذين يأكلون الشوك عيون البدويات هي
نوهات أعماق البراكين الثائرة . هناك أجساد نسوة تطلوها أقدام عدو لا يزال
يلقى جذاء جلاديه القدماء . لا نستطيع أن نكون على مثاله . أرض فلسطين
مزروعة بعيون ترفض أن تغلق .

القدس ليست مدينة داوود

القدس مدينة جبوس .

يا وطن القبور يا غبارا على

جذور قمحنا لا تقابل إلا هياكل العظام

الصلبة كأحجار الزمرد أصابع المقابر !

وردة ستدوم والنسيان سيخرج

من الذرات بالنار لكي يقدم لنا شعر الشمس

عطشا جديدا يهديه الماء الصافي . . .

أيها السنام الكوشي نظف جبالنا من الرمل

ليمشي رجال الغد على الصوان الوردي .

ويشربوا

النبع الاسود .

هذا الجسد المبرقش بالثقوب المحترق

بالكبريت المفتوح بالمنجنير جراح

الاسفلت على غمه والبترول في قبلاته

انه لاجيء دون ملجأ .

احمل لكم آلهتكم القديمة

السباحين في تيارات كونية
أحجار مستسلکہا الاثمار
الارواح الاسلاف الحراس الصناع

احمل اليكم آلهة
جديدة .

من لحم ودم
المستقبل الرحب

قيامه الفقراء

التحرير الحرية التحرير

انا البدوية الهائمة في كون جديد

(لقد قدمنا موتى جبوس قربانا لتحرك الشمس)

في بلادنا الجافة

سيكون المطر رصاصا

سيكون المطر رصاصا الى الابد

□ □ □

عدد خاص عن النقد الأدبي في العالم

تعلن مجلة الآداب الأجنبية عن اصدار عدد ممتاز عن النقد
الأدبي في العالم ، وتتوجه الى الاساتذة المترجمين في القطر العربي
السوري ، وفي الوطن العربي لموافاتها بترجمات وأبحاث حول هذا
الموضوع .

منظر الغابة

• ترجمة: غالب ملسا

• قصة: فلانري أوكونور

خلال الاسبوع الماضي كانت ماري فورتشن والرجل العجوز يقضيان كل صباح وهما يراقبان الحفارة وهي ترفع التراب وتكومه • كان البناء بشاد على شاطئ البحيرة ، فوق قطعة الارض التي باعها الرجل العجوز لرجل ينوي اقامة نادٍ للصيد • وفي العاشرة من كل صباح ينطلق العجوز وماري فورتشن في سيارة كاديلاك مهشمة ، ذات لون ارجواني داكن • يوقفها العجوز على الجسر الذي يشرف على المنطقة التي يجري فيها البناء • شاطئ البحيرة الحمراء - بسطحها المتموج - يقع على بعد خمسين مترا من منطقة البناء والشاطئ الآخر يحده خط أسود من الغابات بدا وكأنه يسير عبر الماء ويواصل مسيرته على حواف الحقول •

جلس العجوز على مقدمة السيارة وجذبت ماري فورتشن غطاء محرك السيارة المعدني ، وجلس الاثنان يتفرجان • أحيانا كانا يستمران هكذا لساعات عدة يراقبان الحفارة ترتفع مخلقة وراءها حفرة مربعة حمراء كانت قبل قليل مرعى للابقار • وقد كان هذا هو المرعى الوحيد الذي نجح بتس في تنظيفه من الاعشاب الضارة • ولهذا عندما باعه العجوز

كاد بتس أن يصاب بأزمة قلبية . غير أن ذلك لم يكن يثير اهتمام السيد فورتشن .

قال أكثر من مرة لماري فورتشن : « كل غبي يسمح لمعى أبقار تعطيل التقدم لن يثير التفاتي أبدا » ولكن انتباه الطفلة كان منصرفا تماما عن كل شيء عدا الحفارة . فتجلس على غطاء المحرك تطالع الهوة الحمراء وتراقب الحنجرة الميكانيكية تلتهم الطين ، ثم تستدير وتبصقه باسمزاز آلي وبصوت عميق كأنها تعاني من الغثيان . كانت عيناها الشاحبتان وراء نظارتها تتابعان حركة الحفارة المتكررة دون أن يفقد وجهها - الذي كان صورة مصغرة لوجه الرجل العجوز - طابع الاستغراق التام .

لم يكن أحد سعيدا لهذا الشبه بين ماري فورتشن وجدها عدا العجوز نفسه ، اذ كان يعتقد ان ذلك يضيف كثيرا الى جاذبيتها . ويرى انها أذكى وأجمل طفلة وقعت عليها عيناه . وهو قد أوضح للآخرين انه اذا أورث أحدا بعد وفاته فسوف يكون ذلك الاحد هو ماري فورتشن .

كانت ماري قد بلغت التاسعة من عمرها ، وكانت قصيرة ، عريضة الكتفين مثله ، لعينيها لون عينية الازرق الفاتح جدا ، ولها نفس الجبهة العريضة ، والعبوس الدائم ، والبشرة الوردية ، وكانت أيضا تشبهه في تكوينها الداخلي . فلها ، على نحو متميز ، ذكاؤه وارادته القوية ودأبه . رغم أن الفارق بين عمريهما يبلغ سبعين عاما وكانت المسافة الروحية التي تفصل بينهما ضئيلة . انها الشخص الوحيد من أفراد العائلة الذي كان يشعر نحوه بأي احترام .

لم يكن يكثر بأمرها التي كانت ابنته الثالثة أو الرابعة - لم يكن يستطيع أن يتذكر أيهما - رغم أنها كانت تعتبر نفسها أنها هي التي تقوم برعايته • كانت ترى - دون أن تفصح عن ذلك صراحة - أنها هي وحدها التي تعني به في شيخوخته ولهذا فمن حقها وحدها أن ترثه • وهي قد تزوجت أبله يدعى بتس وأتت له بسبعة أطفال كلهم بلهاء عدا ماري فورتشن التي تشبه جدّها •

كان بتس من ذلك النوع الذي لا يستطيع أن يحافظ على النقود التي بين يديه ، وكان السيد فورتشن قد سمح لهذه العائلة أن تسكن معه وتزرع أرضه ، منذ عشر سنين • وما كان يحصله بتس من عمله في الأرض يستولي عليه ، ولكن الأرض كانت للسيد فورتشن الذي كان لا يكف عن تذكير آل بتس بذلك • فعندما جف ماء البئر لم يسمح لهم السيد فورتشن بحفر بئر آخر ، وأصر على أن يستخرجوا الماء الذي يحتاجون إليه من النبع • لم يكن فورتشن مستعداً لأن يدفع تكاليف حفر بئر جديدة ، وكان يعلم أنه إذا سمح لبتس أن يدفع التكاليف ، فسوف يقول له بتس عندما يذكره فورتشن بأن : « الأرض التي تعيش فوقها هي أرضي » • • • • « ولكن مضختي هي التي تضخ الماء الذي تشربه • »

بعد مرور عشر سنين على إقامة آل بتس في البيت أخذوا يشعرون وكأن البيت ملكهم • كانت ابنته قد ولدت وتربت في البيت ولكن الأب اعتبر أنها منذ زواجها ببتس قد أخذت تفضل بتس على أهلها ، وحين عادت إلى البيت عادت كمستأجرة رغم أنه كان يرفض أن يسمح لهم بدفع الإيجار لنفس الأسباب التي جعلته يمنعهم من حفر البئر • كل إنسان يتجاوز الستين من عمره يكون في وضع قلق إن لم يكن

يسيطر على الجزء الأكبر من الثروة • ولهذا كان فورتشن بين الحين والآخر يلقن آل بتس درسا عمليا بأن يبيع جزءا من الأرض • لا شيء كان يثير حنق بتس أكثر من رؤيته العجوز يبيع قطعة من الأرض لرجل غريب ، لأن بتس كان يود هو أن يشتريها •

كان بتس نحىلا ، ذا فك طويل ، سريع الغضب ، متجهما على الدوام وعنيذا • أما زوجته فكانت من النوع الذي يقدر الواجب ، فتقول : من واجبي أن أبقي هنا وأعتني بأبي • من سوف يعتني به إن لم أفعل أنا ذلك ؟ أفعل هذا وأنا أعرف تماما أنني لن أنال شيئا مقابلة ، أفعله لأنه واجبي •

ولكن العجوز لم ينخدع بهذا • كان يعلم أنهم ينتظرون بفارغ الصبر اليوم الذي يلقون به في حفرة عمقها ثمانية أقدام ثم يلقون فوقه التراب • عندها حتى وإن لم يحصلوا على المكان بالارث فهم يتصورون أنهم يستطيعون شراءه • ولكن فورتشن كتب وصيته سرا حيث ترك كل ما يملك الى ماري فورتشن ، وجعل محاميه ، وليس بتس ، منفذا للوصية • عندما يموت فسوف تجعلهم ماري فورتشن يفقدون رشدهم • لم يشك للحظة واحدة انها قادرة على ذلك •

قبل عشر سنوات أعلن آل بتس أنهم سوف يطلقون على الطفل الجديد اسم جده فيصبح اسمه مارك فورتشن بتس ، اذا كان المولود صبيا • ولكن الجد قال لهم على الفور أنهم اذا قرنوا اسمه باسم بتس فسوف يطردوهم جميعا • جاء المولود طفلة ، وعندما رأى - حتى منذ اليوم الاول - انها تشبهه لان واقترح تسميتها ماري فورتشن على اسم أمه الحبيبة التي ماتت منذ سبعين عاما وهي تلهه •

كانت مزرعة فورتشن تقع في منطقة ريفية يمر بجوارها طريق ترابي يبعد خمسة عشر ميلا عن الطريق المعبدة ، ولم يكن باستطاعته أن يبيع أي قطعة منها لولا التقدم الذي كان حليفه . لم يكن من أولئك العجائز الذين يحاربون التقدم ، الذين يعترضون على كل جديد وينكمشون خوفا من كل تغيير . كان يحب أن يرى طريقا معبدا يمر أمام بيته تسرع فوقه العديد من السيارات ذات الموديل الحديث ، كان يرغب في أن يرى سوبر ماركت مقاما في الطرف الآخر من الطريق ، ومحطة غاز ، وموتيل ، وسينما يشاهدها وهو جالس في سيارته . وقد دفع التقدم ذلك كله الى التحقيق . فشيدت شركة الكهرباء خزانا فوق النهر وغطت المياه مساحات كبيرة من الاراضي المحيطة فتكونت البحيرة التي يجاور شاطئها أرضه على امتداد نصف ميل . وكان الجميع يرغبون في أن يكون لهم أرض على طرف البحيرة . قيل أن خطأ تليفونيا سوف يمد ، وأن الطريق الترابي الذي يمر أمام بيت فورتشن سوف يعبد . وأشيع أن مدينة سوف تقام ، وقدر أنهم سوف يسمونها فورتشن - جورجيا . كان رجلا ذا أفكار عصرية رغم انه في التاسعة والسبعين من عمره .

كانت الحفارة قد توقفت عن العمل منذ اليوم السابق ، أما اليوم فقد جاء بولدوزران ضخمان أصفران وأخذا يمهدان الحفرة . كانت أملاك فورتشن تبلغ ثمانمائة فداناً قبل أن يبدأ ببيع أجزاء منها . لقد باع خمس قطع من الارض ، مساحة كل منها عشرون فداناً . وكلما باع قطعة ارتفع ضغط بتس عشرين درجة .

قال لماري فورتشن :

« ان آل بتس من ذلك النوع من الناس الذي يسمح لمرعى ابقار
أن يؤخر التقدم • لست أنا ولا أنت من ذلك النوع » •

أما كون ماري فورتشن من عائلة بتس فقد تفاضى عنه السيد
فورتشن بشهامة ، وكان ذلك مرض أصيبت به الطفلة ، لا ذنب لها
فيه • كان يجب أن يعتبرها منتسبة اليه كالية • كان يجلس على مقدمة
السيارة وكانت هي تجلس على الغطاء المعدني واضعة قدميها العاريتين
فوق كتفيه • اقترب أحد البولدوزين وأخذ يلامس المكان الذي كانت
السيارة تقف فوقه • لو مد العجوز قدمه بضعة بوصات لأصبحت على
حافة الجسر • صرخت ماري فورتشن لتجعل صوتها يعلو على هدير
البولدوز :

- « اذا لم تنتبه فسوف يقطع جزءا من أرضك » •

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

صرخ العجوز :

- « هنالك الحد وهو لم يتجاوزه » •

رعت الطفلة :

- « لم يتجاوزه بعد » •

مر البولدوز من تحتها متجها الى الطرف الآخر • قال فورتشن :

- « راقبيه جيدا • اذا جاوز الحد فسوف اوقفه • ان آل بتس هم

الذين يدعون مرعى ابقار أو بغال أو قطعة مزروعة بالفاصوليا أن تعيق

التقدم • أما أناس مثلي ومثلك يملكون عقلا واعيا يعلمون انه لا يمكن

ايقاف حركة الزمن من أجل بقرة • » •

صرخت : « انه يدفع الحد على الطرف الآخر » • وقبل أن يستطيع
ايقافها قفزت الى الارض وأخذت تعدو على الجسر وقد انتفخ ثوبها
الاصفر خلفها •

صرخ وراءها :

- « لا تركضي هكذا قرب الحافة » •

ولكنها كانت قد وصلت الاشارة التي تحدد الارض المباعة وأخذت
تطالعها • انحنت فوق الجسر وهددت سائق البولدوزر بقبضتها •
لوح لها بيده وواصل عمله • قال العجوز لنفسه : ان اصبعها الصغيرة
فيها من الذكاء ما يزيد على ذكاء آل بتس مجتمعين • وأخذ يرقبها
باعتراز وهي تتجه نحوه •

كان شعرها غزيرا ، شديد القوامة ، رملي اللون - مثل شعره
تماما عندما كان له شعر - • كان ينمو باستقامة ودون تموجات ، وقد
قص فوق عينيها ، وهبط على الجانبين الى مستوى أذنيها ، فأصبح
يكون باباً ينفتح على الجزء الاوسط من وجهها • كان اطار نظارتها
فضيا مثل اطار نظارته وكانت تسير بمثل مشيته ، بطنها مندفع الى
الامام ، وخطواتها متمهلة وراسخة ، مشية تجمع بين الاهتزاز وجـرّ
القدمين • كانت تسير قرب الحافة الى حد أن الطرف الخارجي لقدمها
اليمنى كان محاذيا تماما للحافة •

صاح قائلا :

- « قلت لك لا تسيري بهذا القرب من الحافة • سوف تسقطين
ولن تعيشي لتري هذا المكان يبنى » •

كان حريصا دائما أن يجنبها الخطر • لم يكن يسمح لها بالجلوس في الاماكن التي تتواجد فيها الافاعي أو أن تضع يدها على الشجيرات التي تخفي الدبابير •

لم تعدل بوصة واحدة من مسيرتها • لقد اكتسبت عادته في أن لا تسمع ما لا تود سماعه ، ولأن هذه كانت احدى الحيل التي علمها إياها ، فما كان منه لها الا الاعجاب بالاسلوب الذي تمارس فيه هذه الحيلة • وتنبا أنه عندما تتقدم بها السن سوف تفيد من هذه الحيلة كثيرا • حين وصلت السيارة جلست فوق الغطاء المعدني دون أن تتفوه بكلمة ، ووضعت قدميها على كتفيه كما كانت تفعل منذ قليل وكان المعجوز مجرد جزء من السيارة • وعادت تركز انتباهها على البولدوزر •

قال لها جدّها :

- « تذكرني ، اذا سمحت ، ما سوف أحمك منه » •

كان الجد من أنصار النظام الصارم ولكنه لم يضربها قط • هنالك أطفال ، مثل أطفال بتس الستة ، من الواجب أن يضربوا مرة في الاسبوع ، ولكن هنالك وسائل أخرى للسيطرة على الاطفال الاذكياء • ولهذا لم يرفع يده قط على ماري فورتشن • وبالإضافة الى هذا فهو لم يسمح أبدا لأمها ولا لاختوها بأن يمدوا يدهم عليها • أما بالنسبة لبِتس الأب فقد كان الامر مختلفا تماما •

لقد كان رجلا سريع الغضب وينفعل بعنف لأسباب غير مفهومة • لقد كان قلب السيد فورتشن يَخْتَلج بعنف المرة بعد المرة حين كان يراه ينهض ببطء من مكانه على مائدة الطعام - لم يكن يجلس على رأس

المائدة فقد كان ذلك مكان السيد فورتشن ، بل كان ينهض من مكانه على جانبها - وفجأة ، بلا سبب ولا ايضاح يوميء برأسه نحو ماري فورتشن ويقول : « تعالي معي » ويغادر الحجرة ، ويفك حزامه وهو يسير . تعبير غريب يظهر على وجه الطفلة . لم يستطع العجوز تحديد ذلك التعبير ولكنه كان يثير حنقه . كان تعبيراً يمتزج به الخوف مع الاحترام مع شيء آخر اقرب ما يكون الى التواطؤ . يظهر التعبير على وجهها ، فتنهض ، وتتبع بتس . تركب معه الشاحنة ويسير بها مسافة قصيرة ، ثم يضربها هناك .

لقد تأكد السيد فورتشن من أنه يضربها لانه تبعهما بسيارته ورأى ذلك يحدث . راقب ما يحدث من وراء صخرة تبعد مائة قدم . كانت الفتاة تقف ممسكة بجذع شجرة الصنوبر بينما يقوم بتس بضربها على الكاحلين بحزامه ، بانتظام وكأنه يقطع شجرة . وكل ما كانت تفعله الطفلة أن تقفز وكأنها تقف على حديد ممضى ، وتصدر أنينا ككلب موجوع . استمر بتس يضربها لمدة ثلاث دقائق ثم استدار وركب شاحنته وخلف الطفلة هناك . هبطت الطفلة الى الارض - تحت الشجرة - وأمسكت قدميها بيديها ، وراحت تتأرجح الى الامام والى الخلف : زحف العجوز الى الامام ليمسك بها . كان وجهها قد تشوه بالعديد من الاورام الصغيرة الحمراء ، وكانت عيناها وأنفها يسيل . اندفع نحوها وقال :

- « لماذا لم تضربه مثلما ضربك ؟ أين شجاعتك ؟ هل تعتقدين انني أسمح له بأن يضربني ؟ »
قفزت واقفة وأخذت تتراجع من أمامه وفكها مندفع الى الامام وقالت :

- « لم يضربني أحد » •

انفجر قائلاً :

- « ألم أشهد ذلك بعيني ؟ » •

قالت :

- « لا يوجد أحد هنا ولم يضربني أحد ، لم يضربني أحد في حياتي

وإذا ضربني أحد فسوف أقتله • تستطيع أن ترى بنفسك أنه لا يوجد

أحد هنا » •

صرخ العجوز :

- « هل تظنين أنني كاذب أو أعمى ! رأيته بعيني وأنت لم

تفعلي شيئاً وسمحت له بضربك ، لم تفعلي شيئاً سوى الالتصاق بتلك

الشجرة والرقص صعوداً أو هبوطاً والبكاء • لو كنت مكانك كنت وجهت

قبضتي الى وجهه ٠٠٠ »

زعقت :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- « لم يكن هنا أحد ولم يضربني أحد ، وإذا ضربني أحد فسوف

أقتله • »

ثم اندفعت راكضة عبر الغابة •

صرخ خلفها :

- « وأنا خنزير صيني ، والاسود أبيض ! »

ثم جلس فوق صخرة صغيرة تحت الشجرة وهو يغلي بالاشمئزاز

والغضب • كان هذا هو انتقام بتس منه اذن • بدا له وكأنه هو الذي

جاء به بتس بشاحنته ليضربه وكأنه هو الذي امثل لذلك الضرب دون

أن يقاوم • في البداية تصور أنه يستطيع ايقاف بتس عند ضربها

بأن يقول له أنه اذا ضربها فسوف يطرده من المزرعة ، وعندما قال ذلك بتس أجاب :

- « هيا ، أطردي واطردها أيضا • انها ابنتي وأستطيع أن أجدها ولسوف أجدها في كل يوم من أيام السنة اذا كان ذلك يروق لي »
وكان العجوز مصمما أنه كلما أتيح له ايذاء بتس فسوف يفعل • وكان حاليا يتكتم مشروعا سوف يكون ضربة شديدة الواقع لبتس • كان يفكر في هذا المشروع بتلذذ عندما طلب من ماري فورتش أن تتذكر ما يمكنه أن يحرمها منه ، اذا سمحت • وأضاف ، دون أن ينتظر ردها ، انه قد يبيع قطعة أخرى من الارض في وقت قريب ، وسوف يمنحها هدية على شرط أن تتوقف عن ردودها الوقحة • وكثيرا ما كانت تقوم بينهما مشاحنات كلامية ولكن ذلك مجرد تمرين أشبه بوضع مرآة أمام ديك ومراقبته وهو ينازل خياله •

قالت ماري فورتش : « لا أريد أية هدية »

- « لم أرك ترفضين أية هدية »

قالت : « وأنت لم ترني أطلب واحدة كذلك »

سألها : « كم وفرت من النقود ؟ »

ردت وهي تخطط كتفيه بقدميها :

- « لا دخل لك في ذلك • لا تتدخل في شؤوني »

قال :

- « أراهن أنك تخيطين النقود داخل سريرك مثل عجوز زنجية »

يجب أن تضعيها في البنك • سوف أفتح لك حسابا بمجرد أن أنتهي من هذه الصفقة • عندها لا يستطيع أحد أن يعرف كميتها سوانا » •

كان البولدوزر يسير تحتهم وأغرق ضجيجهم كل ما كان العجوز يود أن يضيفه من حديث • انتظر حتى انتهى الضجيج ، عندها لم يستطع صبرا على الكتمان فقال :

- « سوف أبيع الارض الواقعة أمام البيت مباشرة لتصبح محطة بنزين • عندها لن نضطر الى الذهاب مسافة لنملأ السيارة • ستكون المحطة أمام البيت » •

كان بيت فورتشن يبعد عن الطريق العام مائتي متر ، وتلك المائتا متر التي كان يود السيد فورتشن أن يبيعها • وكانت هذه هي قطعة الارض التي تسميها ابنته - بمرج - المرج ، رغم أنها مجرد أرض تملؤها الحشائش الضارة •

قالت ماري فورتشن بعد فترة ضمت استمرت دقيقة :

- « تعني المرج ؟ »

قال :

- « أجل يا سيدتي ! أعني المرج » •

وخطب ركبتهما •

لم ترد فاستدار ونظر اليها • من خلال مستطيل الشعر كان وجهه يطل عليه ولكنه كان يحمل تعبير وجهه عندما يكون منزعجا • تمتمت انطفأة :

- « اننا نلعب فيها » •

فقال وقد أزعجه عدم حماسها :

« هناك أماكن أخرى كثيرة تستطيع أن تلعب فيها » •

قالت :

« لا نستطيع أن نرى الغابة عبر الطريق إذا بعت المرح » •

أخذ الرجل العجوز يحدق فيها ، وتساءل :

« الغابة عبر الطريق ؟ »

قالت :

« لا نستطيع أن نرى المنظر » •

كرر قولها :

« المنظر ؟ »

قالت :

« الغابة ، لن نستطيع أن نرى الغابة من الرواق » •

قال :

« الغابة من الرواق ؟ »

ثم أضافت :

« والدي يرعى عجوله على هذه القطعة من الأرض » •

أجلت الصدمة انفجار غضبه للحظة • ثم انفجر بصخب • قفز

واقفا واستدار وخط غطاء السيارة المعدني بقبضة يده وصرخ :

« يستطيع أن يجعلها ترعى في أماكن أخرى ! »

قالت :

- « سوف تسقط من فوق الجسر وسوف تتملأ أنك لم تسقط » •

تحرك من أمام السيارة الى جانبها ، مثبتا نظراته على الطفلة طيلة الوقت • قال :

- « هل تظنين أنني أكثرث أين يرعى عجوله ! هل تعتقدين أنني ستوف أسمح لعجل أن يتدخل في شئوني ؟ هل تظنين أنني أكثرث للحظة أين يرعى ذلك الاحمق عجوله ؟ » •

جلست ووجهها الاحمر أشد قتامة من شعرها ، عاكسة تعبير وجهه هو في تلك اللحظة • قالت :

- « من يقل لاختيه يا أحمق فسوف يحترق بنار جهنم » •
صاح :

- « لا تدينني حتى لا تدانين ! » •

كان وجهه أكثر حمرة من وجهها قليلا • قال :

- « أنت ! أنت التي تدعينه يضربك في وقت يشاء ولا تفعلين شيئا سوى البكاء والقفز صعودا وهبوطا ! » •

قالت الطفلة وهي تؤكد كل كلمة ، وبصوت خال من كل تعبير :

- « لا هو ولا غيره لمسني في حياتي كلها • لم يحدث أبدا أن أحدا

مد يده علي ، ومن يفعل ذلك فلسوف أقتله » •

صاح العجوز :

- « والاسود هو الابيض والليل هو النهار ! » •

مر البولدوزر من تحتها • كان وجهها يحملان نفس التعبير الى

أن ابتعد الصوت • ثم قال العجوز :

ـ « عودي الى البيت وحدك • أرفض أن تركب بجواري جيزابل
الوقحة ! » •

فقالت وهي تنزلق من فوق السيارة وتسير عبر المرعى :

ـ « وأنا أرفض أن أركب مع غانية » •

زق العجوز خلفها :

ـ « الغانية امرأة • وهذا يكشف جهلك ! » •

لم تتنازل بالالتفات والرد عليه • وأخذ يتابع الجسد الصغير المكتنز
يسير عبر الحقل المنقط ببقع صفراء نحو الغابة ، فعاد اليه اعتزازه
بها وكأن ذلك الاعتزاز قد فرض نفسه عليه ـ عاد اليه اعتزازه بها
كالوجة الصغيرة الرقيقة التي تنساب على وجه البحيرة كاملا عدا
رفضها أن تقاوم بتس حين يجدها • لقد جذب هذا الرفض موجة
الاعتزاز كتيار معاكس تحت سطح الماء • لو كان قد علمها مواجهة
بتس كما واجهته الآن لأصبحت طفلة كاملة : شجاعة وصلبة كما ينبغي
أن تكون • كان ذلك ضعفها الوحيد • وفي هذه النقطة وحدها لم تكن
تشبهه • استدار وأخذ يطالع الغابة عبر البحيرة وقال لنفسه أنه خلال
خمس سنوات ستقوم بدلا من الغابة بيوت ومحلات تجارية وأماكن
لوقوف السيارات وسوف يكون الفضل الاكبر له هو •

قرر أن يعلم الفتاة الشجاعة من خلال ضرب المثل لها • ونظرا لأنه
قد استقر رأيه على تنفيذ المشروع أعلن ظهر ذلك اليوم والجميع
جالسون على مائدة الطعام انه يتفاوض مع رجل يدعى تلمان ليبيعه
قطعة الارض القائمة أمام البيت فيقام فوقها محطة بنزين •

أطلقت ابنته الجالسة على الطرف الاخر من المائدة وقد بدا عليها الارهاق أنينا وكان سكيننا غير ماضية الحد تنغرس في صدرها ببطء .
« تعني المرح ! » وهبطت في كرسيها ورددت بصوت لا يكاد يسمع :
« يعني المرح » .

راح أطفال بتس الستة يزعمون : حيث نلعب ! لا تجعله يفعل ذلك
يا بابا ! لن نستطيع أن نرى الطريق ! وما شابه ذلك من الحماقات .
لم تقل ماري فورتنش شيئا . وعلى وجهها تعبير عناد منضبط وكأنها
تدبر أمرا . توقف بتس عن الاكل وأخذ يحدق أمامه . كان طبقه ممتلئا
ولكن قبضته كانتا ساكنتين على جانبي الطبق كقطعتين داكنتين من
حجر الكوارتز . أخذت عيناه تنتقلان من طفل الى آخر وكأنه يبحث
عن واحد منهم بالتحديد . وفي النهاية توقف عند ماري فورتنش التي
كانت تجلس بجوار جدها . تتمم : « أنت فعلت هذا بنا » .

قالت : « لم أفعل ذلك » .
كان صوتها تنقصه الثقة ، كان مجرد ارتعاشة - صوت طفل
خائف .

نهض بتس وقال : « تعالي معي » واستدار وخرج وهو يفك
حزامه خلال ذلك . ولخية أمل العجوز رأها تغادر المائدة وتتبع بتس
كادت أن تركض خلفه عبر الباب وفي طريقها الى الشاحنة . ثم
انطلقت بهما الشاحنة .

تألم السيد فورتنش لهذا الجبن وكأنه هو الذي جبن . أثار ذلك
الغثيان في نفسه . قال لابنته التي بدا أنها ما تزال منهارة في نهاية
المائدة .

- « يجلد طفلة بريئة ولا أحد منكم يحرك ساكنا لايقافه »

قال أحد الاطفال بصوت خافت :

- « وأنت أيضا لم تحرك ساكنا »

ثم ارتفعت همهمة عامة من جوقة الضفادع

قال :

- « أنا عجوز مصاب بمرض القلب ولا أستطيع ايقاف ثور »

همست ابنته بصوت فاتر ضعيف ورأسها يتأرجح الى الامام والخلف فوق حافة كرسيها :

- « هي التي جعلتك تفعل ذلك • هي التي جعلتك تفعل كل

شيء »

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

صرخ العجوز :

- « لا يوجد طفل يدفعني لعمل ما اريد ! أنت لست أمّا ! أنت

عار ! هذه الطفلة ملاك ! قديسة ! »

صرخ بصوت بلغ من العلو حداً لم يستطع الاستمرار فخرج من الحجرة مسرعاً • تمدد في سريريه بعد الظهر • كلما تذكر أن الطفلة قد جلدت شعر بأن قلبه أضخم من حجم المكان المخصص له • ولكنه الآن كان مصمماً أكثر من أي وقت مضى أن يرى المحطة تقام أمام بيته • وإذا سبب ذلك أزمة قلبية لبتس فهو سوف يزداد سعادة • اذا اصيب بأزمة ونتج عنها شلل فان ذلك هو ما يستحقه • لن يستطيع أن يجلد الطفلة بعد ذلك •

لم تغضب ماري فورتشن أبداً لمدة طويلة أو بشكل جدي . فرغم انه لم يرها طيلة ذلك اليوم ، ولكنه عندما استيقظ في صباح اليوم التالي وجدها تجلس منفردة الساقين على صدره ، مستحثة اياه للاستعجال حتى لا تفوتهما مشاهدة خلاط الاسمنت وهو يعمل .

كان العمال يضعون الاساسات لنادي الصيد حين وصلا وكان الخلاط قد بدأ يعمل . كان الخلاط بحجم ولون فيل السيرك ، ووقف الاثنان يراقبانه وهو يخلط لمدة حوالي نصف ساعة . ثم كان عليهما أن يغادرا لأن العجوز كان على موعد مع تلمان لبحث بيع قطعة الارض . لم يخبر ماري فورتشن بوجهتهما بل قال لها ان عليه أن يقابل شخصاً ما .

كان تلمان يدير مجمعاً يحتوي على محل لبيع البضاعة ، ومحطة بنزين ، ومستودع للحديد الخردة والسيارات المستعملة وقاعة للرقص . وكان المجمع مقاماً على بعد خمسة أميال من مكان التقاء الطريق المعبد والطريق الترابي الذي يمر أمام بيت السيد فورتشن . وما دام الطريق الترابي سوف يعبد فقد أراد تلمان أن يبني مجمعاً عليها شبيهاً بهذا المجمع . كان تلمان من الرجال الذين يصعدون بسرعة - من النوع الذي كان يرى فيه السيد فورتشن ليس مجرد مسابقة التطور بل استباقه قليلا حتى يستطيع أن يلقيه حين يصل اليه .

كانت اشارات على امتداد الطريق تشير الى أن تلمان على مسافة خمسة أميال ، أربعة فقط ، ثلاثة فقط ، ميلين فقط ، واحد فقط ، ثم « توقع تلمان عند هذا المنحنى » وفي النهاية « ها هو يا أصدقاء مجمع تلمان ! » مكتوب بأحرف حمراء تزغلل العين . كان مجمع تلمان يقع بين مكانين للسيارات المستعملة العتيقة ،

اشبه بعنبر للسيارات التي لا يمكن شفاؤها • وكان تلمان يبيع تحفاً مثل الكراكي والعصافير الحجرية ، ابريق شاي ، أصص خزفية ، ولعب الاطفال • ثم في مكان أبعد الى الخلف كان هنالك شواهد القبور والانصاب ، وقد وضعت بعيدة هكذا حتى لا تسبب الكآبة للراقصين • وكان معظم أعماله ينفذ في العراء وكان من شأن هذا أن يخفض التكاليف • فقد أقام حجرة واحدة خشبية ، أضاف اليها من الخلف قاعة طويلة من الصفيح اعدت للرقص • وكانت هذه مقسومة الى قسمين ، واحد للبيض وآخر للسود ، لكل منهما صندوق اسطواناته • وكان هنالك مكان لبيع السندويتشات والمشروبات الغازية •

توقفوا تحت سقيفة مجمع تلمان • نظر الرجل العجوز وهي جالسة وقد وضعت ساقها على المقعد واستقر ذقنها على ركبتها •
قالت الفتاة فجأة بنظرة متحدية كأنها تشم رائحة عدو :
« ماذا أتى بك هنا ؟ »

قال :

« ليس هذا من شأنك • اجلسي في السيارة ، وعندما أعود سوف أتيك بهدية »

قالت بتجهم :

« لا تأتني بشيء لأنني لن أكون هنا » •

قال :

« كيف ! انك هنا الآن وليس أمامك الا أن تنتظري » •

وغادر السيارة دون أن يلتفت إليها ودخل المتجر المظلم حيث كان تلمان بانتظاره .

عندما خرج بعد نصف ساعة لم يجدها . انها تختبئ ، قال لنفسه . وسار حول المتجر ليري ان كانت خلفه . تطلع الى بابي قسمي الرقص وواصل السير بين شواهد القبور ، ثم بحث بعينه بين السيارات الثالفة وتحقق انها لا يمكن أن تختبئ خلف أي من المائتي سيارة . عاد الى مقدمة المخزن . كان هنالك صبي زنجي يشرب شراباً قرمزيّاً ، وهو جالس على الارض متكئاً بظهره على المبردة العرقانة .

قال :

« أين ذهبت تلك الفتاة الصغيرة يا ولد ؟ »

أجاب الصبي :

« لم أرَ أية فتاة صغيرة » <http://Archivebe>

وضع العجوز يده في جيبه بعصبية وأخرج قطعة نقود وأعطاهما للصبي :

« فتاة جميلة صغيرة تلبس ثوباً قطنياً أصفر »

قال الصبي :

« اذا كنت تتحدث عن طفلة سمينة تشبهك فهي قد ركبت

شاحنة مع رجل أبيض »

زعم :

« أي نوع من الشاحنات وأي رجل ؟ »

قال الصبي وهو يتمطق بشفتيه :

- « شاحنة بك أب خضراء اللون ورجل أبيض كانت تناديه بأبي • سارا في ذلك الطريق منذ بعض الوقت » •

دخل العجوز سيارته وهو يرتجف واتجه الى البيت • كانت مشاعره تتراوح بين الغضب الشديد وبين الاحساس بالخزي • لم تتركه قبل الآن ومن المؤكد ليس لبتس • أمرها بتس أن تترك الشاحنة ومنعها الخوف أن تعصيه • وعندما توصل الى هذا الاستنتاج كان غضبه قد وصل قمته • ما الذي يجعلها عاجزة عن مواجهة بتس ؟ لماذا تعاني من هذا النقص في حين أنه قد رباهما على نحو جيد في كل شيء آخر ؟ كان ذلك لغزاً بشعاً •

حين وصل البيت وأخذ يصعد الدرجات الامامية رآها جالسة في الأرجوحة تنظر بوجه مكتئب الى الامام ، عبر الحقل الذي ينوي بيعه • كانت عيناها منتفتحتين ، وخوافهما حمراء ولكنه لم ير علامات حمراء على ساقيهما • جلس بجوارها فوق الأرجوحة • وعندما تحدث أراد أن يكون صوته خشناً ، ولكنه صدر عنه مهتماً وكأنه عاشق يرجو استعادة الحظوة •

قال :

- « لماذا غادرتني ؟ لم يسبق لك أن غادرتني من قبل » •

قالت وهي تنظر أمامها :

- « لأنني أردت ذلك » •

قال :

- « لم تريدي ذلك أبداً • هو الذي جعلك تفعلين ذلك » •

قالت بنبرة قاطعة ودون أن تلتفت اليه :

- « قلت لك انني سوف أذهب وذهبت ، والآن امض عني

ودعني » •

كان هنالك شيء قاطع جداً فيما قالته ، نبرة لم يلمسها أبداً في مشاحناتهما • كانت ترسل نظراتها عبر الحقل حيث لم يكن هنالك شيء عدا خليط من الاعشاب ذات الالوان القرنفلية والقرمزية والصفراء ، وعبر الطريق الاحمر الترابي ، وتنتهي بخط كئيب من أشجار الصنوبر السوداء ذات القمم الخضراء • خلف ذلك الخط كان هنالك خط ضيق ذا لون رمادي - أزرق وهو خط الغابات البعيدة • ووراء هذا كله لا يوجد شيء سوى السماء الخالية تماماً الا من غيمة أو غيمتين صغيرتين للغاية • كانت تطالع هذا المشهد وكأنه شخص تفضله عليه •

قال لها :

- « انها أرضي ، أليس كذلك ؟ فما الذي يجعلك هكذا لأنني

بعت أرضي ؟ » •

قالت :

- « لأنها المرح • وعندما تبيعها لا نستطيع أن نرى المشهد

عبر الطريق » •

وأخذ أنفها وعيناها تسيلان بغزارة ولكن وجهها ظل متصلباً ،
وأخذت تلحق الدموع بمجرد أن تصل لسانها •

نظر الرجل العجوز عبر الطريق ليطمئن نفسه ان ليس هنالك
دا يستحق المشاهدة ، ثم قال بصوت يحمل احساساً بعدم التصديق :
- « لم أرك أبداً تسلكين هكذا من قبل • لن يوجد هناك
الا الغابات » •

قالت :

- « لن نستطيع أن نراها ، وفي هذا المرح يرعى والدي عجوله » •

هنا نهض العجوز وقال :

- « أنت تسلكين وكأنك من آل بتس أكثر من كونك من آل
فورتشن » •

لم يقل لها مثل هذا الشيء من قبل وشعر بالاسف في اللحظة
ذاتها التي نطق بها • لقد ألمه ذلك أكثر مما ألمها • استدار ودخل
البيت وصعد الى حجرته •

نهض عدة مرات بعد الظهيرة من سريره ونظر من الشباك عبر
(المرح) الى خط الغابات الذي قالت انها لن تستطيع رؤيته • في كل
مرة كان يرى المشهد ذاته : الغابات ، لا جبل ولا شلال ولا شجيرة
مزروعة ولا وردة ، مجرد غابات • كان ضوء الشمس يتخللها في تلك
الساعة فبدا جذع كل شجرة صنوبر وحيداً مفصلاً عن كل عريه •
قال لنفسه ان جذع شجرة الصنوبر هو جذع شجرة الصنوبر ومن يريد
أن يراه فلن يحتاج الى أن يبعد كثيراً • في كل مرة كان ينهض ويتأمل

المشهد يزداد اقتناعه بحكمة خطوته في بيع هذه الارض • ولكن الانزعاج الذي سوف يسببه هذا البيع لآل بتس سوف يكون ابدىً ، ولكنه يستطيع أن يراضي ماري فورتنش بأن يشتري لها شيئاً • بالنسبة للكبار الطريق يؤدي اما الى السماء أو الى الجحيم ، ولكن بالنسبة للأطفال فهناك محطات على الطريق حيث يمكن تحويل انتباههم بأصغر الاشياء •

في المرة الثالثة التي نهض فيها ينظر الى الغابة كانت الساعة قد بلغت السادسة وبدت له جذوع الاشجار النحيلة وكأنها تنبثق من بركة من الضوء الاحمر الذي كان يتدفق من شمس لا تكاد ترى وقد جنحت للمغيب خلف تلك الاشجار • تطلع اليها العجوز لبعض الوقت ، وأحس بأنه أصبح مأسوراً بعيداً عن ضجيج كل ما يؤدي الى المستقبل وحوصر هناك في وسط طقس غامض وغير جريح لم يره من قبل • رآه ، من خلال هلوساته ، وكان هنالك جريحاً يتمدد خلف الغابة وان الاشجار تستحم بدمائه • بعد مرور بضعة دقائق تحطمت هذه الرؤيا بقدوم شاحنة بتس التي توقفت تحت الشباك • عاد العجوز الى سريره وأغمض عينيه • على الجفنين المغمضين كانت جذوع أشجار حمراء جهنمية ترتفع من الغابة السوداء •

على المائدة ، في وقت العشاء ، لم يوجه اليه أحد كلمة واحدة ، حتى ماري فورتنش • أكل بسرعة ثم عاد الى غرفته وأمضى المساء وهو يشرح لنفسه الفوائد التي سيجنيها في المستقبل من مؤسسة كمؤسسة تلمان • لن يحتاج الى أن يسير مسافة طويلة للحصول على البترول • واذا احتاجوا الى رغيف من الخبز فما عليهم الا أن يتخطوا

عتبة بابهم الى باب متجر تلمان الخلفي . كما أنهم يستطيعون أن يبيعوا الحليب الى تلمان . وتلمان شخص لطيف وسوف ينشط مجالات العمل الاخرى . سوف يعبد الطريق الترابي قريبا . المسافرون من كل البلاد سوف يتوقفون عند مجمع تلمان . واذا كانت ابنته تعتقد أنها أحسن من تلمان فمن المستحسن جذبها الى أسفل قليلا . جميع البشر يولدون متساوين وأحراراً . وعندما ترددت هذه العبارة الأخيرة في ذهنه انتصر حسه الوطني وتبين أن واجبه يدعوه الى بيع قطعة الارض هذه الى تلمان . ان عليه أن يؤمن مسيرة المستقبل . نظر من الشباك الى القمر ينير الغابة عبر الطريق وأصفى بعض الوقت الى صوت صراير الليل ونقيق الضفادع ، وتحت هذا الضجيج كان يسمع نبضات مدينة فورتشن قادمة من المستقبل .

دخل السرير وهو متيقن أنه كالمعتاد سوف يصحو في الصباح ليرى المرأة الحمراء الصغيرة محددة بباب من الشعر الناعم . سوف تكون قد نسيت كل شيء بيع الارض ، وبعد الافطار سوف يذهبان في السيارة الى المدينة ليحصل على الاوراق القانونية من المحكمة . وفي طريق عودته سوف يتوقف عند مجمع تلمان وينهي الصفقة .

حين فتح عينيه في الصباح واجهه السقف الخالي . نهض وطالع الحجرة فلم يجدها . انحنى من فوق طرف السرير ونظر تحته فلم يجدها . فنهض وارتردى ملابسه وخرج . كانت تجلس فوق الارجوحة في الرواق الامامي مثلما كانت تجلس البارحة محدقة في الغابة خلال المرح . ثارت أعصاب العجوز الى أبعد حد . كل صباح ، منذ أن تعلمت المشي ، كان يجدها اما فوق سريرها أو تحته . ومن الواضح انها

في هذا الصباح فضلت منظر الغابة عليه • قرر أن يتجاهل مسلكها في الوقت الحالي ويثير معها المسألة فيما بعد عندما تتجاوز استيائها • جلس على الارجوحة بجوارها ولكنها استمرت تنظر الى الغابة • قال :

- « انني فكرت أن نذهب سوياً الى المدينة ونلقي نظرة على القوارب في متجر القوارب الجديد » •

لم تدر رأسها نحوه ولكنها سألت بارتياح وفي صوت مرتفع :

- « وأي سبب آخر يدعوك الى الذهاب ؟ » •

قال :

- « لا يوجد » •

بعد فترة صمت قالت :

- « اذا كان هذا هو كل شيء فسوف اراغفك » •

ولكنها لم تكلف نفسها بالنظر اليه • <http://Archive.org/details/ukn116>

قال :

- « البسي حذاءك • لن أذهب الى المدينة مع امرأة حافية

القدمين » •

لم تكلف نفسها بالضحك على هذه النكتة •

كان الطقس يتصف بنفس اللامبالاة التي تسيطر على مزاج

الطفلة • لم يكن يبدو على السماء أنها صحو أو ممطرة • كان لونها

رماديا كثيبا ولم تكلف الشمس نفسها بالظهور • خلال الطريق الى

المدينة كانت الطفلة تنظر الى قدميها اللتين رفعتهما على الكرسي ، وقد وضعتهما في حذاء المدرسة البني الثقيل . طالعا العجوز بنظرات متلصصة فوجدها وحيدة تدير حديثا مع قدميها وفكر أنها تحدثها بصمت الان . بين الحين والآخر كانت شفتاها تتحركان ولكنها لم تقل له شيئا وترفض التعليق على ملاحظاته وكأنها لم تسمعه . قدر أنها سوف تكلفه جهدا كبيرا لجعلها تستعيد مرحها وأنه من المستحسن أن يشتري لها قاربا ما دام يحتاج الى واحد هو أيضا . كانت تتحدث عن القوارب منذ الوقت الذي اقترب فيه الماء من مزرعته . ذهابا في أول الامر الى متجر القوارب . خاطب البائع بمرح وهو يدخل 'لمتجر :

- «أرنا اليخوت المخصصة للفقراء !» .

ARCHIVE : أجابه البائع :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- «كلها للفقراء ! سوف تصبح فقيرا بعد أن تشتري واحدا

منها !» .

كان سمينا يرتدي قميصا أصفر وبنطلونا أزرق وكان سريع النكتة تبادللا عدة عبارات ذكية بتتال سريع . نظر السيد فورتنش الى وجه الطفلة ليرى ان كان مرحها قد عاد اليها . رآها واقفة بشروء الى قارب بخاري معلق على الجدار المقابل .

سأل البائع :

- «ألا تهتم السيدة بالقوارب ؟» .

استدارت عائدة الى الرصيف ودخلت السيارة • تابعها العجوز وهي تمضي بدهشة • لم يكن يستطيع التصديق أن طفلة لها مثل ذكائها تسلك على هذا النحو لمجرد بيع حقل • قال :

- يبدو أن هنالك شيئاً في ذهنها • سوف نعود مرة أخرى •
وعاد الى السيارة •

قال لها وقد بدا عليه القلق :
- « فلنذهب لتناول الدندمة » •

قالت :

- « لا أريد دندمة » •

كان هدفه الوصول الى المحكمة ولكنه لم يرد أن يعلن ذلك •
فسألها : <http://Archivebeta.Sakhril.com>

- « ما رأيك في الذهاب الى متجر العشر سنتات بينما أتم عملاً صغيراً • تستطيعين أن تشتري شيئاً بربع دولار » •

قالت :

- « لا أريد شيئاً من متجر العشر سنتات ولا أريد ارباعك » •

قال لنفسه : اذا كان قارب لا يرضيها فما كان يجب عليه أن يغيرها بربع دولار •

وأخذ يلوم نفسه على هذه الحماقة • سألها بلطف :

- « ما الحكاية يا اختي ؟ ألسنت بحالة جيدة ؟ »

واجهته بنظررتها وقالت بضراوة مركزة وبطيئة :

- « انه المرحج • ابي يرمى عجوله هناك • ولن نستطيع أن نرى

الغابة بعد الان » •

كبح العجوز غضبه بقدر ما يستطيع ، ثم صرخ :

- « انه يضر بك ! وأنت مهمومة بكيفية اطعام عجوله ! » •

قالت :

- « في حياتي كلها لم يضربني أحد • لو حاول أحد ذلك لقتلته » •

ان رجلا في التاسعة والسبعين من عمره لا يمكن أن يدع طفلة

عمرها تسع سنين ان تقهره • ارتسم على وجهه تعبير يحمل نفس
التصميم الذي في وجهها • قال :

- « هل أنت من آل فورتن أم من آل بتس ؟ قري » •

كان صوتها عاليا وهجوميا حين قالت :

- « أنا ماري فورتن - بتس » •

زقق :

- « أما أنا فمن آل فورتن دون غيرهم » •

لم يكن هنالك ما تقوله ردا على هذا وكان ذلك واضحا عليها •

للحظة بدت مهزومة بشكل كامل ولاحظ العجوز بوضوح مزعج أن التعبير

الذي على وجهها ينتسب لآل بتس • لقد شاهد تعبير آل بتس على وجهها ، خالصا وواضحا ، وشعر أنه ملوث بذلك التعبير وكأنه مطبوع على وجهه هو • أدار وجهه باشمئزاز وخرج بالسيارة وقادها الى المحكمة مباشرة •

كانت المحكمة مبنى مطليا بالاحمر والابيض ، ذا واجهة لامعة ، أقيم في وسط ميدان انتزع معظم العشب الذي فيه • أوقف السيارة أمام المحكمة وقال للطفلة : « ابق هنا » بصوت متغطرس وخرج من السيارة وخط الباب خلفه •

احتاج الى نصف ساعة ليحصل على صك تحويل الملكية ولينجز ورقة البيع ، وعندما عاد الى السيارة كانت تجلس في المقعد الخلفي في الركن • كان التعبير الذي يبدو على ذلك الجانب من وجهها الذي يستطيع رؤيته منذرا بالشر ومخسما • كانت السماء قد أصبحت قاتمة أيضا ، وسرت موجة حارة وراكدة في الهواء من ذلك النوع الذي يسبق العاصفة •

قال :

- « خير لنا أن نسرع قبل أن تهاجمنا العاصفة » • وأضاف بلهجة توكيدية :

- « لان هنالك مكانا آخر يجب أن أتوقف فيه قبل أن أعود للبيت » • ولكنه كان يخاطب أذنا صماء •

في طريقه الى تلمان استعاد الاسباب التي دعت له لبيع الارض لتلمان فلم يجد فيها هفوة واحدة . واستقر رأيه أن سلوكها هذا لن يستمر طويلا ، ولكنها خيبت أمله فيها بشكل دائم ، وأنه عليها أن تعتذر اليه عندما تعود الى حالتها الطبيعية . كما قرر أنه لن يشتري لها قاربا .

وأخذ يتبين ببطء أن مشكلته معها انه لم يسلك معها بصرامة كافية . لقد كان متساهلا معها أكثر مما يجب . كان منصرفا الى هذه الافكار الى حد أنه لم يلاحظ الاشارات التي تقول أن مجمع تلمان يبعد كذا ميلا الى أن انفجرت في وجهه بمرح اليافاطة التي تقول : « هنا تلمان أيها الاصدقاء ! » . فأوقف سيارته تحت السقيفة .

غادر السيارة دون أن يلقي ولو نظرة واحدة على ماري فورتشن ودخل المتجر المظلم حيث كان تلمان يتكئ على المنضدة الطويلة في مواجهة ثلاثة رفوف من المعلبات ، منتظرا العجوز .

كان تلمان رجلا سريع الانجاز قليل الكلام . وكان ، في العادة ، يجلس بذراعين مطويين على المنضدة الطويلة ، بينما يتمايل رأسه الصغير بحركة رأس الأفعى فوق ذراعيه . كان وجهه على شكل مثلث مقلوب ، وكانت صلعته مغطاة بالنمش . كانت عيناه خضراوين وضيقتين جدا ، وكان لسانه باديا على الدوام من فمه النصف مفتوح طيلة الوقت . كان دفتر شيكاته جاهزا في كل لحظة ولذا جلس الاثنان يبحثان الصفقة على الفور . ولم يحتج تلمان الى وقت طويل ليقرأ

صك نقل الملكية ويوقع عقد البيع ، ثم وقعه السيد فورتشن وتصافحا عبر المنضدة .

كان احساس السيد فورتشن بالارتياح وهو يمسك بيد تلمان قد بلغ أقصى حدوده . ان كل شيء قد تم بلا رجعة ولم يعد هنالك للنقاش حوله مع الطفلة أو مع نفسه . شعر بأنه تصرف على أسس مبدئية وأن المستقبل مضمون .

وفي اللحظة التي انفصلت فيها أيديهما استولى تغيير مفاجيء على وجه تلمان ، واختفى تماما تحت المنضدة وكان أحدا قد جذبته من رجليه من الاسفل . اصطدمت زجاجة بصف الملعبات خلف الموضع الذي كان يقف فيه تلمان . استدار العجوز ، كانت هاري فورتشن تقف بالباب حمراء الوجه وهائجة وهي ترفع زجاجة أخرى تنوي قذفها ، وعندما تفادها تحطمت الزجاجة خلفه على المائدة ، فأمسكت بأخرى من الصندوق . قفز نحوها ولكنها أسرعت الى الجانب الاخر من المتجر وهي تزرق بكلام غير مفهوم وتلقي كل ما يقع تحت يدها . قفز العجوز مرة أخرى واستطاع هذه المرة أن يمسك بها من ذيل فستانها وجذبها من الخلف حتى خرج بها من المتجر . استطاع أن يتمكن منها فحملها وهي تتنفس بصعوبة وتئن ، ولكنها فجأة همدت بين ذراعيه خلال المسافة القصيرة الموصلة للسيارة . استطاع أن يفتح باب السيارة ويلقي بها في الداخل . ثم أسرع الى الجانب الاخر من السيارة ودخلها وانطلق بها بأسرع ما يستطيع .

شعر بأن قلبه أصبح بحجم السيارة وأنه يعدو الى الامام حاملا اياه الى مصير محتوم بأسرع من أي وقت مضى . في الدقائق الخمس الاولى لم يكن يفكر في شيء ، بل يسرع الى الامام وحسب وكأنه مدفوع الى داخل غضبه الهائل ذاته . ثم استعاد بالتدريج القدرة على التفكير وأما ماري فورتشن فقد تكورت وأصبحت كالكرة وانطوت في زاوية المقعد وهي تتنفس بصوت مسموع وتتنهد .

لم ير في حياته طفلا يتصرف على هذا النحو . لم يحدث أن أطفاله أو أطفال الآخرين قد سلخوا بهذه العصبية في حضوره ، ولم يكن يتصور للحظة واحدة أن الطفلة التي رباها بنفسه ، والتي كانت رفيقته الدائمة لمدة تسع سنوات سوف تحرجه على هذا النحو ، هذه الطفلة التي لم يرفع يده عليها قط !

ثم تبين ، بذلك النمط من الرؤيا المفاجئة التي تأتي نتيجة الإدراك المتأخر أن ذلك كله كان غلطته .

انها تحترم بتس لانه - دون سبب منطقي - يضربها ، واذا هو الان وهو يملك السبب المنطقي لم يضربها فلا يلام أحد الا هو اذا ما تحولت الطفلة الى طفلة مؤذية . رأى أن الوقت قد حان ولا يستطيع أن يتجنب جلدها ، وعندها تحول من الطريق العام الى الطريق الترابي قال لنفسه انه بعد أن يجلدوها لن تقذف زجاجة أخرى طيلة حياتها .

أسرع خلال الطريق الترابي حتى وصل الى الخط حيث تبدأ أرضه

ثم انحرف في طريق جانبي يتسع فقط لسيارته وسار بها نصف ميل وسط الغابة . أوقف سيارته في نفس المكان بالضبط الذي رأى فيه بنس يخلع حزامه ويجلدها . كان مكانا تتسع فيه الطريق فتسمح بمرور سيارتين أو تسمح لسيارة أن تستدير ، كان مكانا بشعا أحمر أجرد ، محاطا بشجيرات صنوبر طويلة ونحيلة والتي بدت وكأنها تجمعت هناك لتشهد كل ما يحدث في تلك البقعة الخالية . وهناك أحجار قليلة كانت تطل من داخل الطين .

قال :

- « أخرجني » .

ومد يده فوقها وفتح الباب .

خرجت من السيارة دون أن تنظر إليه أو تسأله ماذا سوف يفعلون

غادر هو السيارة أيضا ووقف أمامها .

قال :

- « والان سوف أجلك ! » .

كان صوته عاليا بشكل غير طبيعي وعميقا ، وفيه دوي بدا وكأنه

يعلو ويتخلل قمم اشجار السرو . لم يكن يريد أن يفاجأ بالمطر وهو

يجلدها فقال :

- « أسرع واستعدي قرب تلك الشجرة » .

وبدا يخلع حزامه .

ما كان يريد فعله بدا وكأنه يصلها ببطء وكأن ذلك كان عليه أن يتخلل ضباباً داخل رأسها • لم تتحرك ، ولكن التعبير المشوش الذي كان على وجهه بدأ ينقشع • ففي حين كان وجهها قبل ثوان قليلة أحمر ومشوها وبلا نظام ، انمحت كل خطوطه حتى لم يبق فيه شيء سوى الايجابية ، وهو تعبير تجاوز التصميم ووصل الى حد اليقين • قالت :
- « لم يضربني أحد قط ، واذا حاول أحد ذلك فسوف أقتله » •

قال :

- « لأريد أن أسمع أية وقاحة » •

وتقدم نحوها • كانت ركبته ترتعشان وكأنهما على وشك أن تميلتا الى الامام أو الى الوراء •
تحركت خطوة واحدة الى الخلف وهي ترمقه بنظرة ثابتة ، ثم خلعت نظارتها وألقته خلف صخرة صغيرة قرب الشجرة التي أمرها أن تقف بجوارها • قالت :
« اخلع نظارتك » •

قال :

« لا تلقي علي أوامر ! »

بصوت عال وضربها بحزامه على كاحليها ضربة تنقصها البراعة • هجمت عليه بسرعة بلغت حدا أنه لم يستطع أن يعرف أية ضربة كانت الاولى ، وهل كان ثقل جسدها الصلب كله أم رفسات قدميها أم

ضربات قبضتها هي التي كانت تصطدم بصدرة • أخذ يضرب بالحزام في الهواء لا يعرف أين يوجه ضربته • كل ما كان يريده هو أن يبعدها عنه حتى يقرر بعد ذلك الوسيلة المناسبة للسيطرة عليها •

صرخ :

- « دعيني ! أقول لك دعيني » •

ولكنها بدت وكأنها في كل مكان ، تهاجمه من جميع الاتجاهات في نفس الوقت • أحس وكأنه مهاجم ليس من طفلة واحدة ولكن من مجموعة من الشياطين الصغيرة • كلها تلبس أحذية مدرسية بنية كبيرة ولها قبضات صغيرة مصنوعة من الصخر • طارت نظارته الى جانبه •

دمدمت دون أن تتوقف :

- « لقد قلت لك أن تخلعها » •

أمسك بركبته وأخذ يرقص على رجل واحدة فانهالت اللكمات على بطنه كالمطر • أحس بخمسة مخالب في لحم الجزء الاعلى من ذراعه كانت تتعلق بها في حين كانت قدمها تخبطان ركبتيه بشكل ميكانيكي وقبضتها تخبط بصدرة دون توقف • ثم شاهد برعب وجهها يرتفع أمام وجهه ، وقد كشرت عن أسنانها ، فغار كالثور حين عضت فكه • بدا له وكأن وجهه هو الذي يعضه من عدة اتجاهات في نفس الوقت ولكنه لم يستطع أن يقاوم عضها لانها كانت ترفسه دون تمييز في بطنه ثم بين ساقيه • فجأة ألقي نفسه على الارض وأخذ يتدحرج وكان نارا

قد اشتعلت في ملابسه • كانت فوقه في الحال ، ثم أخذت تتدحرج معه وهي ما تزال ترفسه ، وتضربه بقبضتيها اللتين تحررتا الآن ، على صدره •

قال وهو يلهث :

- « أنا رجل عجوز ! دعيني ! »

ولكنها لم تتوقف • بدأت هجوما جديدا على فكه بأسنانها •

كان لهائه أشبه بالشخير :

- « توقفي توقفي ! أنا جدك » •

توقفت ووجهها فوق وجهه تماما • عيناها شاحبتان ، متماثلتان كانتا تنظران الى عيني شاحبتين ، متماثلتين • قالت : « هل كفك هذا ؟ » •

نظر العجوز الى شبه صورته • كانت منتصرة ومعادية • « لقد جلدتك أنا » قالت ، ثم أضافت وهي تؤكد كل كلمة « أنا بتس خالصة » •

خلال ذلك أرخت قبضتها فأمسك بحنجرتها • وبقوة انبعثت منه فجأة استطاع أن ينقلب ويصبح فوقها وراح ينظر تحته الى الوجه الذي هو وجهه والذي تجرأ وأطلق على نفسه اسم آل بتس • وبيديه اللتين تحيطان برقبته رفع رأسها وألقاه بقوة على الصخر التي كانت تحته •

ثم أعاد الكرة مرتين • ثم نظر الى الوجه الذي أخذت عيناه تنفتحان بببطء ، وبدت وكأنهما تتجاهلانه كلية • قال :

- « لا يوجد ذرة واحدة من آل بتس في » •

استمر ينظر الى صورته المهزومة الى أن أدرك أنها رغم صمتها فلا يوجد أي تعبير ندم فيها • انقلبت عينها وراحا تطالعانه بنظرة ثابتة لا تراه • قال بصوت يخالطه الشك :

- « سوف يعلمك هذا درسا جيدا » •

استطاع بمعاناة مؤلمة أن ينهض على قدميه المضروبتين غير الثابتتين وان يسير خطوتين ولكن تضخم قلبه الذي بدأ في السيارة استمر • ادار رأسه ونظر طويلا الى الجسد الصغير الساكن تماما برأسه الملقى على الصخر •

ثم سقط على ظهره ونظر وهو عاجز عن الحركة الى جذوع أشجار الصنوبر ثم الى قممها ، وتمدد قلبه مرة أخرى بحركة تشنجية • اتسع بسرعة فائقة فشعر العجوز وكأنه مسحوب خلفه عبر الغابة ، شعر وكأنه يركض بأسرع ما يستطيع ترافقه الصنوبرات القبيحة نحو البحيرة • أدرك أنه سوف يكون هنالك فتحة ، مكان صغير يستطيع أن يهرب منه ويخلف الغابة خلفه • استطاع الان أن يراها عن بعد : فتحة صغيرة تبدو من خلالها السماء البيضاء منعكسة في الماء • وأخذت تكبر وهو يعدو نحوها الى أن بدت أمامه البحيرة أمامه بكاملها ،

تمتطي بجلال ثناياها المتموجة متجهة الى قدميه • تبين له فجأة أنه لا يستطيع السباحة وأنه لم يشتر القارب • على جانبه رأى الاشجار العجفاء تزداد كثافة وتتحول الى صفين داكنين غامضين يسيران عبر الماء • نظر حوله بلهفة يبحث عن أحد يساعده ولكن المكان كان مهجورا ما عدا وحشا أصفر ضخما كان يجلس على ناحية راسخا وكأنه يلتهم الطين •



<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

صدر حديثا

عن اتحاد الكتاب العرب — بدمشق

مأساة الحرف العربي في المهاجر الامريكية

دراسة

الياس قنصل

النافذة

* قصة: عني دو موباسان * ترجمة: موفق شقير

تعرفت على السيدة (دوجاديل) من باريس في هذا الشتاء ، وسرعان ما أعجبت بها كثيرا . انكم تعرفونها أكثر مني .. كلا ... ارجو المذرة ... تقريبا أكثر مني ... انكم تعلمون كم هي خيالية وشاعرة في الوقت نفسه ... حرة في تصرفاتها ... ولها قلب سريع الافعال ... عنيدة ... مستقلة ... برأيها ... جريئة ... مقدامة ... جسورة ... وأخيرا وفوق كل شيء ، فانها من اللواتي يحكمن على الشيء بصورة مسبقة . ورغم ذلك فانها حساسة ولطيفة وسريعة التأثير ... رقيقة القلب وخجولة .

لقد كانت أرملة ، وأنا أهيئ بالأرامل .. ولما كنت أبحث عن الزواج ، بدأت بمغازلتها ، وكلما ازدادت بها معرفة زاد بها أعجابي . وظننت أن الفرصة قد حانت لأجازف بطلب يدها فقد كنت عاشقا لها وكنت أشعر أنني أزداد بها شغفاً .

ان على المرء ، بعد أن يتم الزواج ، ان لا يحب زوجته كثيرا اذ يعد ذلك غباء منه ، فقد يحصل ما يكدر الصفو فيبدو في نفس الوقت غيبا وشرسا .

لذلك يجب أن يسيطر على أهوائه قليلا ، فإذا فقد عقله في المساء الاول فانه يخشى كثيرا بأن يصبح بليدا متخسبا على الاقل لمدة سنة بعد ذلك .
وعلى هذا ، ففي أحد الايام ، جئت الى منزلها وكنت احمل قفازا شفافا وقلت لها :

— سيدتي ، انني سعيد بأن احبك . وقد جئت اليك لأسألك اذا كان هناك لي بعض الامل في أن تقبلي بي زوجا ، وأن امنحك اسمي ، واضعا في ذلك كل اهتمامي .

فأجابتنني بهدوء :

— كيف تقول ذلك أيها السيد : وأنا أجهل تماما اذا كنت ستعجبني الآن أو فيما بعد . ولكنني لا أطلب شيئا أفضل من القيام بتجربة . وانك كرجل لا أراك شيئا ... انتظري حتى أعلم من أنت كقلب وصفات وعادات . ان معظم الزيجات تصبح كثيرة العواصف أو اجرامية لان الأزواج لم يتعارفوا بقدر كاف عند الاقتران . ومما لا غنى عن معرفته : هو ما اذا كانت هناك عادة ورائية مستهجنة ... أو رأي متصلب حول نقطة اخلاقية ما ، في الدين أو أي شيء آخر ... أو تصرف غير لائق ... أو رعشة في العضلات ... أو خطيئة صغيرة أو حتى صفة غير محببة . وبهذه المعرفة يمكن ان نجعل من عدوين ، لا يمكن الجمع بينهما ، شخصين متحابين يتحدان ويرتبط كل منهما بالآخر حتى الموت كخطيبين أعظم ما يكونان حنانا وأكثر ما يكونان هياما .

— سوف لا أتزوج أيها السيد أبدا دون أن أعرف بعق ماذا في زوايا

وطيات الروح للرجل الذي اقسامه الوجود • أريد أن ادرسه في أوقات الفراغ وبالقرب منه خلال عدة شهور •

وهذا ما أقترحه عليك ... عليك أن تأتي لقضاء الصيف عندي في منزلي في (لوفيل) وهناك سنرى بهدوء اذا كنا قد خلقنا لنعيش معا جنبا الى جنب •

« انتي اراك تضحك ... قد يكون لديك تفكير سيء ... أيها السيد انتي لو لم أكن واثقة من نفسي لما قدمت لك هذا الاقتراح • ان لدي عن الحب مثلما تعلم ويعلم الرجال الآخرون ، نوع من الكراهية والاشمئزاز بحيث يكون السقوط مستحيلا بالنسبة لي • فهل توافق ؟ ... »

فقبلت يديها وقلت :

— متى سنذهب ياسيدتي ؟
— في ١٠ مايس ... اتفقنا ! ...
— اتفقنا ...

وبعد شهر ازلت رحلي لديها وكانت في الحقيقة امرأة فريدة ... فمن الصباح الى المساء كنت موضع دراستها • ربما انها كانت مولعة بالخيول فقد كنا نقضي ساعات في كل يوم ونحن نتنزه في الغابات وتتكلم عن كل شيء لانها كانت تحاول الدخول الى اعق افكاري الخصوصية بالاضافة الى انها كانت تجهد في ملاحظة أقل حركة تصدر عني •

اما بالنسبة لي ، فقد أصبحت أعشقها بجنون ، ولم اكن منزعجا أبدا من توافق صفاتنا • لقد لاحظت أيضا أن نومي نفسه كان خاضعا للمراقبة ،

فقد كان هناك احدهم ينام في غرفة صغيرة الى جانب غرفتي ، فلا يدخل اليها الا في وقت متأخر جدا وبالاحتياطات اللامتناهية . وهذا التجسس في جميع اللحظات انتهى بي الى أن أفقد صبري وأردت أن أسرع نحو الخاتمة ... وذات مساء شعرت بالجرأة على الكلام ولكنها استقبلتني بطريقة جعلتني أكفء معها عن أية محاولة جديدة ... ولكن شعورا قويا قد استولى علي بأن أردء عليها ، بطريقة ما ، النظام البوليسي الذي كنت أخضع له . ورحت أتروى للبحث عن طريقة .

انكم تعرفون خادمتها (سيزارين) ... انها فتاة جميلة من (جرافيل) حيث كل النساء جبيلات ، ولكنها شقراء بقدر ما كانت سيدتها سمراء وبعد ظهر أحد الايام استدرجت الخادمة الى غرفتي ووضعت في يدها مائة فرنك وقلت لها :

— يا ابنتي العزيزة أنا لا أريد أن أمسك بسوء ولكنني أريد أن أعامل سيدتك بمثل ما تعاملني به وضحكت الخادمة فتابعت قولي :

— انهم يراقبونني في الليل والنهار وأنا أعلم ذلك .. انهم ينظرون الي وانا آكل واشرب والبس واحلق ذقني او البس حذائي .. وانا أعلم ذلك . ونطقت الصغيرة :

— سيدتي .. سيدي .. ثم امسكت عن الكلام فتابعت قولي :

— أنت تنامين في الغرفة المجاورة لكي تسمعي اذا ما كنت اشخر أو اتكلم أثناء النوم فلا تنكري ذلك ... وانطلقت ضاحكة ثم قالت :

— سيدتي ، سيدي ... ثم أمسكت عن الكلام فتشجعت :

— حسنا انك تفهمين يا صغيرتي ... انه ليس من العدل ان يجري كل شيء على حسابي وان لا يجري شيء على حساب تلك الانساء التي ستصبح زوجتي . انني احبها من كل روحي ، ولها ذلك الوجه والقلب والفكر الذي كنت أحلم به وأنا أسعد الرجال في هذا الشأن .. ومع ذلك فهناك أشياء أريد أن أعلمها جيدا ...

وقررت* (سيزارين) أن تدخلَ في جيها الورقة النقدية ، فعلمتُ أن الصفقة قد تمت ...

— اسمعي يا فتاتي .. اننا نحن الرجال أيضا نهتم كثيرا ببعض ... ببعض التفاصيل الجسمانية التي لا تمنع المرأة من أن تكون جذابة ولكنها تستطيع أن تغير من قيمتها في أعيننا ... وانا لا أريدك أن تقولي شيئا عن سيدتك حتى ولا أن تعترفي لي عن أخطائها الخفية اذا كان لها من أخطاء . اجيبي فقط بصراحة على أربعة أو خمسة أسئلة سأوجهها اليك . أنت تعرفين السيدة (دوجاديل) كما تعرفين نفسك لانك في كل يوم تضعين عليها ملابسها وتخلعينها عنها .. لذلك اخبريني هل هي بدينة كما يبدو عليها ؟

ولم تشأ الخادمة الصغيرة أن تجاوب ، فتابعت :

— أيتها الطفلة ، انك تجهلين ان بعض النساء يضعن القطن ، هل تفهمين القطن ... هناك حيث ... هناك حيث ... أخيرا القطن هناك حيث يتغذى الاطفال الصغار ، وكذلك هناك حيث يقعد الانسان . اخبريني هل تضع سيدتك القطن ؟ ...

فاطرت (سزارين) بعينها ثم فطقت بخجل :

— تابع أسئلتك يا سيدي وسأجيبك عنها مرة واحدة .

— حسنا يا ابنتي هناك نساء لهنّ ركب غائرة متقاربة تحتك مع بعضها بعضاً في كل خطوة يسنها ، وهناك غيرهن تكون ركبهن متباعدة مما يجعل افخاذهن تبدو شبيهة بأقواس الجسر ويمكن رؤية المناظر الطبيعية من خلالها . وكل من الشكلين جميل جدا . فاخبريني كيف هي افخاذ سيدتك ؟ ..

ولم تجب الخادمة الصغيرة أبداً ... فتابعت :

— هناك من لهن صدر جميل جدا وفي أسفل ثنية كبيرة ... وهناك من لهن أذرع ضخمة وقوام رفيع ... وهناك من هنّ قويات جداً من الامام ولن كذلك ابداً من الخلف وأخريات قويات جداً من الخلف ولن كذلك من الامام .. كل ذلك جميل جدا ولكنني أريد أن أعلم جيداً كيف هي سيدتك . أخبريني بصراحة وسوف أعطيك مالا كثيراً ..

ونظرت ° (سزارين) اليّ بأعماق عينها وأجابتنني وهي تضحك من كل قلبها :

— فيما عدا أنها سوداء ياسيدي فانها كلها مثلي تماما ... ثم توارت عن الاظار .

لقد تولد لديّ شعور بأنه قد استهزى بي ووجدت نفسي هذه المرة كأنتي اضحوكة ... فقررت الانتقام على الاقل من هذه الخادمة الوقحة .

وبعد ساعة من الزمن ، دخلت بحذر الى الغرفة الصغيرة حيث كانت تستمع منها اليّ وأنا قائم ، ثم أقفلت المزلاج .

وفي حوالي منتصف الليل جاءت الى مكتبها للمراقبة فتبعتهما حالاً .
وعندما رأيتهما أرادت أن تصيح ولكنني سدّدت فمها بيدي وتغلّبت عليها دون عناء كبير .

لقد كنت صاحب ذوق رفيع فيما أقدمت عليه ، وحين ذهبت في محاولتي قليلا الى الامام لم يبد أن ذلك مما لا يرضي (سيزارين) ...

لقد كانت في رأيي نموذجاً جذاباً للإصالة النورماندية... فهي قوية ورقيقة في آن واحد ... وربما كان ينقصها بعض الاهتمام بالاناقة التي كان يفضيها هنري الرابع . وسرعان ما بحث لها بذلك وبما أنني أعشق العطور فقد قدمت لها هدية في ذلك المساء نفسه عبارة عن حوالة من الخزامي المعنبر .

وصرنا ندخن السكاير ونحن الى جانب بعضنا بعضا بشكل لم أكن أصدقه كأننا أصدقاء .. واصبحت خلية طيبة ولكنها ذكية وماكرة الى أقصى حد . ولو كانت في باريس لكانت مجالسة من النوع الممتاز .

ان الاشياء الحلوة التي كانت تقدمها لي (سيزارين) ساعدتني على الانتظار بدون ضجر حتى تخين نتيجة الامتحان الذي تجريه لي السيدة (دوجاديل) .

وقد أصبحت في مزاج لا شبيه له فأنا مرن ووديع ومجامل .

اما بالنسبة لخطيئتي فلقد وجدتني لذيذا بدون شك وفهمت من بعض

الخطرات انني سأكون مقبولا" لديها في القريب العاجل • لقد كنت متأكدا
أنني أسعد رجل في العالم انتظر بهدوء القبله الشرعية من المرأة التي أحبها وأنا
بين ذراعي فتاة صغيرة وجبيلة كنت أشعر بالحنان عليها من أجل هذه السيدة
فقط •

وذات مساء بعد أن عدنا من نزهتنا على الخيول اشتكت السيدة
(دوجاديل) كثيرا من أن سائسي الخيول لديها لم يقوموا بما طلبت اليهم
عمله للحصان الذي تركبه حتى أنها كانت تكرر عدة مرات قولها :

« عليهم أن يحذروا ... عليهم أن ينتبهوا ... لقد أصبح لدي المبرر
لمباغتهم » •

وقضيت ليلا هادئا في سريري • واستيقظت باكرا ممتلئا بالنشاط
والحيوية ، وارتديت ملابسى ...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كان من عادتي أن أذهب في كل صباح لادخن سيكارة على أحد أبراج
القصر الصغيرة حيث كنت أصعد درجا حلزونيا تضيئه نافذة كبيرة على ارتفاع
الطابق الاول •

وتقدمت بدون ضجة ، وكنت ألبس في رجلي حذاء مراكشيا نعل من
القطن لكي اتسلق الدرجات الاولى ... عند ذلك رأيت (سيزارين)
منحنية على النافذة تنظر منها الى الخارج •

لم أشاهد (سيزارين) كلها ، ولكن نصف (سيزارين) فقط .. نصفها
الثاني ... اما بالنسبة للسيدة (دوجاديل) فربما كنت أفضل النصف الاول

منها فقد كان فاتنا أيضاً وبالع الاستدارة ولا ترتدي على هذا النصف البارز
نحوي سوى صدرية صغيرة بيضاء ... فاقتربت بهدوء كبير حتى أن الفتاة
الصغيرة لم تسمعي أبداً . ثم ركعت على قدمي ، وأخذت مع ألف احتياط
بيدي طرفي الخراطة وسرعان ما رفعتها .

لقد كنت أعرف ما خفي من خليلتي .. لقد كان ممثلاً .. حيوا ..
سمينا وناعماً .. وحالا قلت : عفوا يا سيدتي ، وهويت بقبلة حنان ، قبلة
عاشق يستطيع أن يتجرأ على فعل كل شيء .

لقد كانت مفاجأة لي ... لقد كانت تعبق برائحة الخزامي ...
ولكن لم يكن لدي الوقت لأفكر في ذلك ... فتلقيت ضعة
قوية أو على الأغلب ضربة على الوجه كان بوسعها أن تحق
أقفي وسمعت صراخاً عالياً وقف له شعري لقد التفت
ذلك الشخص .. فكان هو السيدة (دوجاديل) نفسها . !!! .. لقد راحت
تلوح بيدها في الهواء كأنها امرأة فقدت صوابها ، ثم صارت تلهث بعض
الوقت ، وبعد ذلك أخذت وضعا كأنها كانت تضربني بالسوط .. ثم أطلقت
ساقها للريح .

وبعد عشر دقائق جاءني (سيزارين) وهي مشدوقة برسالة فقرأتها :

ان السيدة (دوجاديل) تأمل من السيد (دوريفس) ان يغادر منزلها
حالا .

فغادرت .

□ ترجمة : موفى شفيق □

انتي حتى الآن لم أجد السلوى لنفسى .. لقد حاولت بجميع الوسائل
وبجميع العبارات من أجل أن تصفح غنى عن هذه الخطيئة ولكن الجهود كلها
ذهبت أدراج الرياح .

ومع ذلك فانتى منذ تلك اللحظة وأنا أحس فى قلبى طعماً لزهره الخزامى
يولد لى رغبة لا متناهية لمعاودة شم رائحة هذه الباقه من الزهر .

(من منشورات مجلة Heures Claires التى يصدرها الاتحاد العام
الفرنسى فى باريس) العدد ٧٩ لسنة ١٩٧١ .



الدناميكية الحركية في عوليس

• ترجمة: محمد أبوخضور

• برناردي فونتو

لو عاينا النظر ببعض الفقرات القصيرة من رواية اوليسيس سوف يكون مفيداً من الناحية التعليمية وأولى هذه الفقرات مقدمة الرواية :

« لقد نزل بك موليجان السمين في أبهة من أول الدرج حاملاً إناءاً
ممتلئاً برغوة الصابون ، وفوقه مراة ، وموس للحلاقة ، متقاطعين . وكان
معلقاً وراء ثوب فضفاض بلا حزام ، أصفر اللون ، تداعبه نسائم الصباح
الرقيقة . ورفع الاناء الى أعلى وأشد قائلاً :

— سأدخل الى مذبح الاله

وتوقف بعد أن هبط الدرجات السوداء الدائرية ونادى بغلظة :

— تعال يا كنش تعال أيها اليسوعي المرعب .

وتقدم في وقار واعتلى مقعداً مستديراً وأخذ ينظر الى ماحوله وبارك في
وقار ثلاثة أشياء : « البرج ، والبلدة المحيطة ، والجبال التي دبّت فيها

اليقظة» ويصعد (ستيفن ديدالوس) السلم مع الجملة اللاحقة. ثم يصبح ابتداء من الجملة التي تليها نقطة المواجهة في المشهد ووسيلة الادراك . وسوف نرى عبر هذا المشهد ، ومنذ الجملة الثانية ، على سبيل المثال ، شعر (بك موليجان)

«مجمدا ومصبوغا مثل البلوط المعتم» ومن ثم نجد القصة تنقل من خلال ستيفن طوال الصفحات الخمسين التالية لذلك ، ثم يظهر على المسرح (ليوبولد بلوم) فيحول الادراك اليه . ولكن فلاحظ في الفقرة الافتتاحية أنه على الرغم من ظهور بك موليجان على المسرح الا أن أحدا لا يراه . فنحن لا نرى المشهد من خلاله ، انه نفسه يرى المرأة ، وموس الحلاقة متقاطعين في الاناء ويلبس الرداء الفضفاض وهو يتأرجح خلفه ، ويلاحظ غلظته عندما يصبح من تحت الدرج ، وصرامته عندما يجلس على المقعد المستدير - ولكنه لا يسمح لنا في الحقيقة بدخول عقله . بل نراه من الخارج .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

إنه شيء مؤكد : من الناحية الدرامية لانه قد تبدى في الحركة ، ولكنه جاء مع ذلك بطريقة تفسيرية ، اذ أن الروائي يخبر القارئ عنه .

وهذا عرض غير مباشر يخلو من محاولة اخفاء مهمة التفسير وكان لا بد من أن توجد من الناحية النظرية ورطة خفيفة . أو يحدث هرج عندما يتحول العرض الى التعامل مع وعسي (ستيفن) ، ولكن لم يحدث شيء من ذلك بالفعل ، ولا يزال القارئ محايدا في انتظار وسائل الادراك ليتمكن البناء عليها ، واذا حدث التحول بعد صفحة أو صفحتين تاليتين فلا بد أن يشعر بخرج ضمني ضئيل . والحقيقة التي ينبغي ملاحظتها هنا أن المشهد يصير أكثر

حياة حالما نبدأ في رؤيته عن طريق (ستيفن) • فالمشهد الآن في داخل الرواية وهو يقدم لنا كما يمارسه (ستيفن) وتزداد حيوته بشاركته فيه • وبالإحساس والتفكير في (بك موليجان) تبعث الحياة في ادراك القارئ لموليجان ، وبالإضافة الى ادراكه لستيفن ، وذلك لأن انعكاس شخصيته من داخل أخرى يجعل الاثنين أكثر حياة •

وعبارة « وتوقف بعد ان هبط الدرجات السوداء الدائرية ونادى بغلظة » انما هو تقرير من الروائي عن (بك موليجان) ولكنه تقرير من الخارج • ولننظر الان في فقرة جاءت بعد صفحتين تاليتين « لقد زجر (موليجان) (ستيفن) لرفضه الصلاة من أجل أمه المحتضرة (وبهذا قدم مادة موضوعية سوف تزايد أهميتها) وقد جاء في العبارة الأولى : « كانت ذراع (ستيفن) مستريحة فوق الصخر المسنن ، وقد استند راحته فوق حاجبه واخذ يحدق في الطرف الممزق من كم معطفه الأسود اللامع » •

وهذا يختلف عن الجملة التي اقتبسناها من قبل ، ولو انها تقرير عن (ستيفن) مثل الأخرى التي كانت تقريراً عن (موليجان) ولكنها كتبت عن طريق ادراك (ستيفن) الذاتي • وتمضي الفقرة قائلة :

« الألم ، لم يكن ذلك ألم الحب الذي اعتصر قلبه ، لقد سعت اليه في هدوء ، في الحلم بعد موتها ، وكان جسدها الفاني في كفه الأسمر المسترخي تنفذ منه رائحة المشمع وخشب الورد • وكانت أنفاسها – التي أكبت عليه – خرساء مستهجنة تتصاعد منها رائحة رماد محترق » •

ان التقرير هنا ليس التقرير نفسه الذي رأيناه في الجملة الافتتاحية من الفقرة ، ولكنه قريب منه ، انه ليس تقريراً عن سلوك (ستيفن) ولكن عن احساسه وذكرياته ، عن عواطفه والخيال القلق لموت امه . وهو لا يزال تابعا للحقيقة - موجزة أو محملة - واقعة تحت سلطان الروائي وبكلماته انه محتوى عقل (ستيفن) ولكن الروائي هو الذي وضعه بهذه الصورة فهو ، اذا شئت ، من الداخل ومن الخارج على السواء . وهو تفكير وعرض . فنحن نفهم (ستيفن) من داخله ، ولهذا نقاسمه مشاعره وخیالاته ، ولكننا لانزال نوجه الى ذلك عن طريق الروائي الذي يوجز ويقرر ما يراه عن طريق (ستيفن) . وهو لا يعرف ما يفكر فيه (ستيفن) بطريقة مباشرة وهذه اكثر الطرق شيوعا بالنسبة الى تقديم الفكر والافعال في القصة ، على الأقل في القصة الحديثة ، فهي الطريقة العادية المتبعة .

<http://Archi>

ويمكننا القول بأن « نوني سارج » يختبئ تماما خلف مسرح العرائس فالقارئ لن يراه ، بل لا يكاد يعنى بأمره في الحقيقة ، ولكن الاستقصاء الرقيق - وهو ، ما لا يعطيه القارئ ، عادة ، لما يقرأ - يظهر ان الدس عمل بواسطة خيوط ، وأن الفعل الماضي في الرواية هو الذي يكشف وجود هذه الخيوط ، أو لنضع الأمر في اصطلاحات من مجاز افلاطون : أن الحائط الذي اقيم على طول الطريق المستقيم يشف ، على مدى البصر الانساني ، عن اولئك الذين يحملون الصور ، مما يلقي بالظلال على الحائط ، لكنها مع ذلك

لا تزال محسولة • الا أن الرواية يمكنها ان تثبت خيالها باخفاء خيوط الدمى تماما ، حتى تبدو وكأنها تتخلص كلية من اولئك الذين يحملون الصور ، لأنها تقدم المشهد في اللحظة المباشرة •

وبعد بضع ساعات عقب المشهد الذي يدور في البرج ، والذي بدأت به (عوليس) ، نجد (ستيفن) يسير على الشاطئ بعد أن أنهى دروسه • وكان يتحدث مع السيد (ديزي) ، وكانت تدور في رأسه انطباعات عن العالم الخارجي مختلطة بأفكار فلسفية وأدبية وذكريات عن والديه واسرته مع اجزاء من مشاهد تذكرها منذ أيام دراسته في مناسبات أخرى مختلفة • ثمة تيار من الفكر يتخذ صورة ما ، ونبدأ في ادراكنا بعضا من شكله العام • ويرى بجثة كلب غريق فيكتسب المنظر دلالة انفعالية من الأحداث التي عاينها من قبل • ثم يندفع نحوه كلب حي ، ويتوقف ، ثم يجري بعيدا فيتذكر (ستيفن) مناسبة عرضت له من زمن حين أفرغه كلب ودفعه الى التفكير في عدة رجال كانوا شجعانا ، في حين يبدو عليه الجبن بازائهم • ولسنا في حاجة الى شرح تابع الأفكار في ذهنه ، اذ كان يفكر في هؤلاء الأبطال ، ولكن ينبغي ان نلاحظ الطريقة التي تابعت بها أفكاره •

« الرجل الذي غرق منذ تسعة أيام بعيدا عن صخرة العذراء • انهم ينتظرونه الآن ، فلنجهر بالحقيقة • لقد كنت شديد الرغبة وقد حاولت ، لست سباحا ماهرا • الماء بارد وناعم • عندما أضع وجهي فيه ، في حوض الاستحمام

في (كلنجوز) اني لا أرى من يقفون ورائي ؟ الى الخارج بسرعة ! بسرعة !
ألا ترى المد يفيض بسرعة على الجوانب كلها مغطيا منخفضات الرمال والقواقع
الضاربة الى السواد . لو أن تحت قدمي أرضا . انني اريد أن أحفظ له حياته
وكذلك حياتي . رجل غريق ، ان عينيه الآدميتين تصرخان بي فزعا
من الموت . أنا . . . معه ، معافي القاع . . . انني لا استطيع
انقاذها . المياه : موت فظيع : ضياع . امرأة ورجل ، انني ارى
ثيابهما ، اراهن انها كانت معلقة . ان كليهما يحوم حول جسر متضائل من الرمل
يركض ويتشمم في كل ناحية ، وكأنه يبحث عن شيء ضاع منذ زمن بعيد »

(علامات الحذف موجودة في نص « جويس » وهي تعبر عن حذف
الكلمات في تفكير (ستيفن) وهي لاتعني أنني حذفته اي شيء)

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هنا (كما يبدو) لا يوجد عرض أو تلخيص أو تقديم من جانب الروائي
فكل شيء قد قدم في اللحظة التي يظهر فيها ادراك (ستيفن) ، لكن ينبغي
ان تثق بوجود نوع من الترجمة مادما قد تعمقنا في العقل حتى ان بعض هذا
التفكير لا يمكن أن يصاغ في كلمات . وما دامت بعض أجزاء منه ليست لازمة
لعقل (ستيفن) ولكنها موجودة فيه لأن القارئ في حاجة اليها فحسب .
والصورة المتخيلة لعيني الرجل الغريق لا بد ان تكون بصرية ، أي ان (ستيفن)
قد رأى الصورة ، فهو لا يصفها لنفسه . وتذكره لخوفه من الفرق يمكن أن
يكون انفعالا لم يضع في كلمات .

وهو لم يفكر ، « امرأة ورجل لقد رأيت ثيابها » ، وانما هو يمي الصور ويستطيع أن يرى الثياب ببساطة دون أن يردد لنفسه أنه قد رآها . ولكن اعتمادا على أن بعض الاشياء تصاغ في كلمات في حين تبقى في الفكر الحقيقي بلا صياغة ، نجد أن هذه الفقرة نسخة مضاهية لما دار في عقل (ستيفن) .

انه يرى ويفكر ويصل الى نتائج ، والذكريات تنبعث من الماضي ، وهو يستجيب لها في خوف وألم بشرط تتابع التداعيات ، ونجد في موضوع آخر :

(الى الخارج بسرعة ، بسرعة) . يختفي مثل هذا التفكير بسرعة ، وما دامت الكلمات يمكن أن تعبر عنه فهناك امتزاج بين التفكير الخالص والشعور الخالص .

ARCHIVE

والقارىء يكون حاضرا في لحظة الحدث وهو لا ينغمس عميقا في العقل كما ينبغي أن يكون مثلما نرى في الفقرات الاخيرة من (عوليس) ، كذلك في العقل النائم في (نقطة فينغان) . أنه لا ينغمس عميقا لمدة طويلة ، لأن ادراك العالم الخارجي يظل متداخلا مع الجملة وفيها ، قبل ان يدرك آخر من اقتبسها انه قد أصبح كافيا فيها فترة من الوقت ، ولكنه يكون داخل العقل كلية . وهو لا يبحث فيه بدماثة الروائي كما لو كان في ألم ولكنه ليس ألم الحب الذي يفترس قلبه » انه يبحث في داخله ويهديه . وهو يرتبط بالاحداث نفس الارتباط الموجود في عقل (ستيفن) لقد انسحب الروائي تماما ولم يعد موجودا ولم يبق الا فكر (ستيفن) وشعوره ، وادراك القاريء لهما عن قرب .

لقد أشرت من قبل الى التحول من الحالة الخارجية غير الذاتية الى الحالة الداخلية التي توضع في درجات مختلفة من الذاتية ، وليس هناك ما يمنع من النظر الى هذه الاشياء مركزة في نص واحد ، نجدها في مقدمة القسم الثاني من (عوليس) . (يمكن القول ان المشكلات التي خلقتها مقدمة القصة قد وجدت مرة اخرى في مقدمات أقسامها الاخرى) .

« لقد أكل السيد (ليوبولد بلوم) في تذوق سقاقات البهائم والدجاج . وكان يجب الحساء الثقيل لسقط الطيور والقوانص بطعم الجوز والقلب المشوي شيا جيدا ، وشرائح الكبد المقلية مع الخبز الرقيق المحمر ، والبطارخ المقلية ، وهو يفضل على أي شيء آخر كلى الحبل المشوية التي يكون لتذوقها طعم خاص به رائحة فاترة من البول (يكاد هذا الكلام يشبه التقرير الاول عن (بك موليجان) . ولكن نلاحظ اننا في طريقنا الى التقرير الاول عن (ستيفن ديدالوس) .

وكانت الكلى في ذهنه عندما توجه الى المطبخ في هدوء واضع مواد افكارها فوق طبق للتقديم . وكان الضوء والهواء البارد يسودان المطبخ .

ولكن خارج الأبواب كان صباح الصيف الرقيق يغر المكان وهذا جعله يشعر بالضيق الى حد ما (تضعنا هذه الفقرة داخل عقل (بلوم) ولكنها لاتزال تتألف من تقارير يكتبها المؤلف متابعة للحقيقة . والجملة الأخيرة تقرب أن تكون تقديمًا مباشرًا) .

وكانت الجمرات متقدمة ، قطعة أخرى من الخبز والزبد : ثلاث ، اربع حسنا ، انها لاتحب ان تجعل « طبقها » مملوءا ، حسنا ، وتحول عن الطبق ورفع الابريق عن الموقد ووضعه بعيدا عن النار ، فبقي هناك صامتا قابعا وقد تنأت صبايته . سيعد حالا قدحا من الشاي . حسنا ! ان الفم جاف . ودارت قطة في توتر حول رجل المائدة وكان ذيلها مرفوعا » .

ان الفقرة الاخيرة تتضمن تقديما مباشرا ، ولو انه في درجات مختلفة من الذاتية . وقد تكون الجملتان الرابعة والاخيرة تعبران عما في داخل عقل (بلتوم) ولكن عن طريق الجاذبية فحسب ، بقوة الحقيقة التي اصحبت بغيتها شأنها شأن الكلب في الفقرة الاخيرة من الجزء الذي سبق اقتباسه . ويمكن في النهاية ان نقتبس بعض السطور (حيثما اتفق) من تحدث (مولى بلوم) الى نفسها في نهاية الرواية .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

والفقرات الاخرى أكثر ذاتية من التحدث مع النفس — لأنها تعبر عن أعرق مستويات العقل — ولكن لا يوجد من بينها ما هو أكثر حالية ، فالتحدث وادراك القاريء متوافقان في الزمن .

« هذا الفروك من صنع ت . مارش في باريس . والعقد المرجاني الذي تشع به المضايق استطيع أن اراه من المغرب ، ويكاد يكون خليج طنجة أبيض ،

١ — يبدو أن الكاتب برناردي فوتو غير مدرك أن جويس ينتقل ببطله من « صورة الفنان شابا » الى عوليس ليتابع تطوره ونضجه (المترجم)

وجبال الاطلس والثلوج فوق قممها والمضائق واضح الظهور . (هارلي مولر)

حبيبي كنت افكر فيه اثناء ركوبي البحر طوال الوقت . وفي أثناء
القداس حينما بدا مئزري (تنورتي) ينزلق من مكانه . وقد بقيت أساييع
وأساييع أحتفظ بالمنديل تحت الوسادة من أجل رائحته انه لايمكن الحصول
على عطر راق في جبل طارق ، اللهم ألا هذا النوع الرخيص الذي يتبخر ويترك
لك رائحة كريهة .

ان اشد ما أرغب فيه هو أن امنحه تذكارا . وقد اعطاني هذا الخاتم
المعتم لجلب الحظ . وقد اعطيته الى غاردفو . عند ذهابه الى جنوب افريقيا
حيث قتله البوير بالحرب والحبس .

ولكنهم هزموا وكان الخاتم قد جلب نحسه معه ، ويبدو أن فسه كان من
حجر الآبال أو اللؤلؤ . ولا بد أن يكون من الذهب النقي ، عيار ، ستة عشر
قيراطا . ولذلك كان ثقيلا جدا وانني استطيع ان المح وجهه قليلا حليقا .
فرفونج هذه النعمة الباكية للقطار أسما مرة أخرى وقد سمعتها في الأيام
الخالية عبر الذكريات فأغضت عيني ، ومددت شفتي لأقبل عشرين حزيتين .
بيانو مفتوح تحلق انغامه فوق العالم . لقد بدأ الضباب ، انني اكره ذلك ،
وتنسب اغنية حب جميلة . سوف أبوح بذلك كله عندما أقف أمام اضواء
المسرح .

مرة أخرى (كاثلين كيرني) وجماعتها الذين يتصايحون يخطئون مرة

هذا ومرة ذلك. انهم يسخرون. ويتحدثون في السياسة . وهم يعرفون جيدا — كما أعرف جانب ظهري — أي شيء في العالم يجعلهم بطريقة ما ذوي اهتمام بحاسن الصناعة الوطنية الايرلندية ، هل أنا حقا ابنة الجندي . ولمن تنتمون أنتم يا صانعي الأحذية وأصحاب الحانات » .

لقد رأينا بعض الطرق التي ينتقل بواسطتها الادراك الحسي أو يتحقق وينبغي أن تتجه الآن الى تأكيد صفات معينة لما يدرك . وذلك لأن الروائي اذا كان مضطرا الى تكيف عرض مادته مع المنطق ومع حدود وجهة النظر التي يراها القاريء من خلالها فإنه مضطر كذلك الى احترام الحدود المتضمنة في المادة ومواجهة الظروف التي تحكم في استعمالها . وبعض مادته لايحتاج الى التدوين فقط ليصير قصة ، وبعضها الآخر لا يمكن ان يعيد قصة بعض النظر عما يصنع به . وجزء ثالث منه يجب ان يخضع لعمليات تعديل وتحويل . وجزء كبير من عملية الرقص التي يديها القاريء والتي قصدنا الى شرحها سببه أن الروائي يقدم مادة لاتصاح قصة بأي حال من الأحوال أو انها لم تحول تماما من حالتها الواقعية لتصير قصة .

لقد كان من الطبيعي أن نتحدث هنا عن المشهد في اثناء حركته لنسجل أن بعض الاشياء يمكن أن تمرقل تطوره ولنلاحظ بأن أشياء أخرى تمنحه الحركة . والحركة من المميزات الأساسية الهامة في القصة ومن السهل ملاحظتها

عند وجودها ، واقتادها عند خلو القصة منها . ولكن ليس من السهل تحديدها وذلك لأن الحركة في القصة ليست سهلة كحركة الموسيقى حيث تتلاحق الأنغام مع تعاقب الزمن ، وليست كالأفلام السينمائية حيث تضاف الحركة المكانية الى تابع الصور في الوقت نفسه . انها دائما حركة معقدة ، لأن انواعا مختلفة من الاضغالات تحدث معا في العادة . ولكي نقرر الحقيقة نقول أنها أحيانا حركة مجازية مزدوجة . مادامت بعض الامور التي تنتج عنها الحركة في القصة لا يمكن أن تروى لتبدو على حقيقتها في الحركة . وزيد على ذلك فنقول انها غالبا ما تكون حركة عند تجاوب القاريء معها . وأحيانا - وهنا تكون ذروة تعقدها - تألف من علاقة فريدة بين القصة والقاريء . ولكننا ينبغي أن تقدم على الأقل تحليلا سريعا ، لأن الخطأ الشائع الذي يقع فيه الروائيون هو أنهم يبالغون مادة الفن الديناميكي (الحركي) كما لو كانت استاتيكية (جامدة)

ويمكننا عن طريق فحص المشهد نفسه ان نميز ثلاثة أنواع من الحركة الأولية . فمن الممكن أن تكون الحركة في مكان أو في زمان أو أنها (وهذا قليل الحدوث) تكون افعالية عن طريق احداث افعال أو تقويته . ومن الطبيعي أن تحدث أحيانا في الاتجاهات الثلاثة . في وقت واحد . وربما كان للحركة خصائص أخرى يمكن أن نسميها ثانوية . فحينما وصل (بك موليجان) الى رأس الدرج في أبهة كان ردائه يسبح خلفه ، فرفع القدر وتحدث وذهب الى ناحية الدرج ونظر وتحت . وتحدث مرة أخرى ..

وكل هذه الحركات في أحد مواقف القصة تساوي الحركة العضلية على المسرح أو في السينما ، فنحن نتتبعها كما نتتبع مثيلاتها على المسرح ، أو كما نتتبعها في البرج نفسه ، لو أننا كنا حاضرين . وفي النص التالي لذلك يوجد كثير من الفقرات الذاتية حيث يحدث ذلك النوع من الحركة نفسه « ان كليهما يحوم حول جسر متضائل من الرمل ، يركض ويتشمم في كل ناحية » .

ويحدث التقرير المباشر بصورة أقل في قوله : « ألا ترى الماء يفيض بسرعة على كل الجوانب مغطيا منخفضات الرمال والقواقع الضاربة الى السواد » وكذلك في عبارة (مولى بلوم) « المضائق اللامعة ، أستطيع أن أراها في المغرب » . وكذلك في قولها « وفي أثناء القداس حينما بدأ منزري ينزلق عن مكانه » ، ولو أن القارئ قد ألف جيداً حديث (مولى) لنفسها فانه سوف يدرك أن لفظه (يقبل) في النص الذي اقتبسته هي من نوع هذا الشيء نفسه في كل هذه النصوص ثمة بساطة حركات عضلية تحدث في مكان . وهي لا تحتاج الى مزيد من الوصف . كما أنها لا تتغير سواء رفع بطل القصة القصيرة الهاوي حاجبه أم أن الشرير قد رفع ناحية المنشار الدائري أو ناحية (برتا) المسكينة البريئة المقيدة التي وقفت فضيلتها في وجه تزوته . انها حركة تحدث في مكان داخل المشهد نفسه .

وتأثيرها الاساسي أنها تبقى الصورة البصرية للمشاهد في حركة بالنسبة للقارئ .

ولنعد الى (بك موليجان) الديناميكي (الحركي) « لقد رفع القدح الى أعلى وأخذ يدندن بالكلمات الافتتاحية لنشيد دخول القداس » .وعبارة « لقد

أكل من الدرج الدائري المعتم وطلب من (ستيفن) أن يصعد اليه « وحركات (بك موليجان) الشخصية التي لا تزال تقدم مباشرة ولكن ما يقوله قد حول الى : « وعندئذ أقسم أردي أن عدوه قد ألحق الأذى بابنه الملك » . لقد وصفت في صيغة غير مباشرة : « طلب من ستيفن أن يصعد اليه » فهي قد قررت ولخصت وثبتت . ولكن عبارة « تعال يا (كنتش) تعال أيها اليسوعي المرعب » ، تصل الى القارئ وهي في طور الحدوث ، انها في حركة ، على حين نجد الوضع في الاسلوب غير المباشر (استاتيكي) جامدا . ويمكننا أن نقول — مع شيء من تحفظ — أن الحوار حركة . أما تلخيصه أو تقريره فليس كذلك .



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بصدر قريبا

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

القدس ، دمشق ، القدس

تأليف : د. حسام الخطيب

قصائد لسيرغي يسينين

• ترجمة: عدنان جاموس

أحد الرواد العمالقة الثلاثة الذين أرسوا أسس الشعر السوفييتي ،
وفجروا في سمائه شمساً لا تغرب • دواوينهم أصبحت من مستلزمات حياة
الإنسان السوفييتي ، ومن رفاق طريقه : ماياكوفسكي الشاعر الذي يريد أن
يهدم دنيا ويني أخرى • وبلوك المتأمل الذي يحاول النفوذ إلى ما خلف
الظواهر • ويسينين العاطفي الذي شد أعصابه أوتاراً يعزف عليها ألحان حب
للوطن والمرأة والطبيعة •

ولد سيرغي يسينين عام ١٨٩٥ في قرية كونستا تينوفا في مقاطعة ريزان ،
وتلقى تعليمه في مدرسة دينية ، وعاش في القرية حياة صبي ريفي مشاكس لا
يعود إلى البيت إلا بألف مدمى أو رأس مشدوخ •

انتقل إلى موسكو في سن السابعة عشرة ، عمل فترة في إحدى المطابع
واقتسب لجامعة شانيافسكي الشعبية • نشر أولى قصائده في بعض مجلات
موسكو ، ولكن طموحه دفعه إلى الانتقال إلى العاصمة ، بتروغراد حيث
التقى ببلوك • ومن هنا كانت نقطة الانطلاق العاصف • انضم في البداية إلى

من يسمون أنفسهم الشعراء الفلاحين • وكان في معظم أشعاره آنذاك يتغنى بالقرية والطبيعة الروسية التي يعتبر نفسه جزءاً منها : شجرة بتولا أو سنبله جودار • (ديوان : خميس الموتى) • استقبل يسيين ثورة اكتوبر الاشتراكية بابتهاج ولكنه كان ، على حد تعبيره ، « يتلقى كل شيء على طريقته الخاصة ، ومن وجهة نظر فلاحية » • قصائده عن الثورة في تلك الفترة كانت تتصف بـ « المبالغة الكونية » وتمتج صورها ورموزها ودلالاتها وحتى اسلوبها من الكتاب المقدس والحكايا الشعبية (ديوانا : ابتهالات ريفية والتحول) • في عام ١٩١٨ عاد يسيين الى موسكو ليستقر فيها ، وقد اقترب آنذاك من اتحاد الكتاب الاشتراكين الثوريين اليساريين وأخذ ينشر أشعاره في مجلته « سيكفي » ، ثم أصبح من مؤسسي حركة « التصويرين » ولكنه سرعان ما خالفهم في مفهوم الصورة والدور الذي تلعبه في الشعر • وفي بداية العشرينات يعيش يسيين مأساة عميقة تدفعه الى الانغماس في حياة بوهيمية بعيدة كل البعد عن التيار الرئيسي في حياة روسيا آنذاك • لقد شدت الثورة يسيين اليها باعتبارها انفجاراً هائلاً زلزل أركان المجتمع ، وحدثاً عظيماً شمل البلاد بأسرها ، ولكنها استغلقت عليه كهلقة وسياسة تهدف الى إعادة بناء الحياة على أساس اشتراكي •

كان يسيين يحاول التوفيق بين عقله الذي يتقبل الثورة كحدث مطهر وبين عواطفه التي ترفض تغيير نمط الحياة الريفية في روسيا • كان يحاول أن يوفق بين القديم والجديد وأن يفهم الواقع ويجد فيه مصدراً للإلهام الشعري • في تلك الفترة تعلق به ألقاب العريد والسكرير والمشاعب (ديوان خماسات موسكو) •

في عام ١٩٢٢ يسافر الى الخارج بصحبة الراقصة الأمريكية آيسيدورا دونكان ، زوجته الثانية ، فيزور ألمانيا وفرنسا وبلجيكا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية . ويعود الشاعر الى وطنه السوفيتي بمشاعر جديدة و نظرة جديدة الى الثورة وطبيعة التغيرات التي تحدث . ويقضي الستين الاخيرين من حياته وهو يغالب نفسه ويحاول أن يتخلص من ذبول بوهيميته . وينجح في ذلك الى حد بعيد (قصائد عن الثورة ، ألحان فارسية) ، وينتقل الى لينينغراد في ٢٣ كانون الأول ١٩٢٥ وفي نيته أن يبدأ حياة جديدة . بيد أن الظروف لم تكن مهيةة لمداواة ذوي الامزجة الخاصة ، ولم تكن الحياة لتتوقف كي يلحق بها المتخلفون . وهكذا وجد الشاعر نفسه في لحظة ما منقطعاً عن الماضي ومتخلفاً عن الحاضر . وعندما دخل أصدقائه غرفته في فندق آنغليتيير في لينينغراد صباح الثامن والعشرين من كانون الاول وجدوه قد أنهى كل شيء بأنشطة حول العنق .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولكن اذا كانت حياة يسينين قد خبت داخل انشوطه في غرفة فندق في لينينغراد ، فقد تفجرت اسطورة يسينين في عقول الناس وقلوبهم وأحاديثهم ومقالاتهم في طول روسيا وعرضها . وأصبح الشاعر بحبه الصوفي للوطن والشعر والانسان والطبيعة وتورده على كل ما هو مزيف ومفتعل ، وبمعاناته الانسانية الاصلية وصدقه مع نفسه والآخرين ، صديقاً شخصياً حياً لكل روسي ، ومن أكثر الشعراء السوفيت شهرة في العالم .

محاكاة اغنية

- كنت تسقين حصانك من راحتك ،
وظلال أشجار البتولا تتكسر في مياه البحيرة •
وأنا أطلع من شباكى الى مندليك الازرق ،
والى ضفائرك التي يشعبها النسيم •
وفي وميض التيارات المزبدة تملكنتي الرغبة ،
في أن أعتصر من شفئك قبلة مؤلمة •
ولكنك رششتني بالماء وأنت تبسمنين بغنج ،
وانطلقت تصلصلين بلجام جوادك •
وغزل الزمن خطه على مغزل الامام المشمسة ،
ومروا قرب نافذتي يحملونك الى مشورك الاخير •
ومن خلال بكاء الناديات وبخور القساوسة ،
كان يخيل لي انني لا أزال أسمع ذلك الصليل الخافت •

١٩١٠

شجرة البتولا

البتولا البيضاء
تحت شباكى
توشحت بثلج
كأنه الفضة •

□ □ □

ومن أغصانها الزغب
الموشاة بالثلج
تدلت العناقيد
كطرر يضيء

البتولا تقف
في السكون الناعس
وثليجاتها تلتهب
ناراً ذهبية



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhran.com>

والفجر يطوف حولها بكسل
فأثراً على الأغصان
فضة جديدة •

١٩١٣

العربة

شرعت العربة الخشبية بالغناء
وتراكضت السهول والشجيرات
ومرة أخرى لاحت الكنائس
وشواهد القبور على الطريق •

مرة أخرى أنا مريض بحزن دافئ
من النسيم المحمل بشذى الشعير •
ويدي ترسم إشارة الصليب بعفوية
عند سماعي رنين النواقيس •

آه ياروسيا - يا حقل توت شوكي
أيتها الزرقة الساقطة في النهر
انتي أحب حتى الفرح والألم
وحشة بحيراتك •



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Se> لا حدود لحزني البارود

وأنت على الشاطئ الضبابي
ولكن أن لا أجبك ، أن لا أو من بك
هذا الذي لا أستطيع تعلمه

١٩١٦

□ □ □

ابتهالات ريفية

١

أيتها الشمس ... أيتها الشمس
يا دلوأ ذهبيا معلقا فوق العالم
امتح نفسي
انشل بلادي من بر الألام .
كل نهار
أسلق الى الأعلى
متمسكا بسلاسل أشعتك
وكل مساء
أسقط في شديق الغروب
أحسن بالعذاب والمرارة .
وشفاهي تغني دماً
والثلوج ، الثلوج البيضاء
غطاء وطني
تتمزق تنفأ
وجسده
معلق على الصليب
وسيقان الطرقات والروابي
محطمة ...

والريح من الغرب
تعوي عواء الذئاب
والليل كغراب
يشحذ منقاره على مقل البحيرات
والفجر مُسَمَّرٌ بالجبل
كلوح فوق الصليب

□ □ □

يسوع الناصري

ملك اليهود

ARCHIVE

<http://Archivebe2.Sakhrit.com>

أيها القمر .. أيها القمر
يا قبعة جدي الحمراء
التي قذفها حفيده المشاكس
إلى غصن غيمة
استقط الى الأرض
غطّ عيني !
أين أنت ..
أين وطني ؟

لقد سلخت العاصفة طرقاتك
 بلحاء الشجر
 ولعقت الريح
 - بلسانها الأزرق -
 ثلجك ، فروتك البيضاء
 وأنت مستلق كالشاة
 تلبط السماء بقوائمك
 لا تميز بين السماء والمعلف
 لا تميز بين النجوم والشعير الذهبي
 اخلط . . اخلط
 اخلط بين كل ما ترام
 فلن أنراجع عن ضحك الى صديري
 حتى ولو كنت
 مع شمس تشبه الخنزير
 لن أخاف حافره
 المغرور في سياج روجي

ان شرك لعظيم
 وهلاكك هو الجرن الذي سيعتمد فيه العالم قبل الأبدية .

أيها الفجر المسائي الأحمر
اغفر لي صراخي
اغفر لي انني خلطت بين دبك الاكبر
ومعرفة الساقى •

يا رعاة الصحراء
ماذا نعرف نحن ؟
إنني لم أكن سوى المدرسة الدينية
إنني لا أعرف سوى أغنية سنابل الشعير
في الريح
والعزف على الهارمونيك في الاعياد •

لكنني توصلت أيضاً الى الايمان بأن الموت
أهون من البقاء مسلوخ الجلد
اهلك يا وطني
اهلكي يا روسيائي
يا صاحبة العهد الثالث *

* بعد العهد العتيق والعهد الجديد في الكتاب المقدس •

٤

أيتها النجوم ، أيتها النجوم
 أيتها القناديل الشمسية الرقيقة
 التي تقطر شمعاً أحمر
 في مصلى الفجر
 اهبطي من عليائك
 اخفضي لهبك
 كي أستطيع ، واقفاً على رؤوس أصابعي ،
 أن أطفئه .
 ان من أشعلك لم يكن يعرف
 أية مية قد غنيتها لك .
 هल्ली
 أيتها الأرض
 لقد بشرت عذراءك روسيا
 بميلاد جديد
 إنها ستلد لك غلاماً
 اسمه عمانوئيل * .
 غنّ وضج يا نهر الفولغا !

* اسم اصطلاحي للمخلص الذي ورد ذكره في نبوءه اشعيا . (الاصحاح
 ١٤ : ٧)

ففي مهدك الأزرق
ستلقي بوليدها
لا تقولوا لي
ان الذي سيزغ
هو القمر في ليلة تمامه
لا ...

إنه هو !
إنه هو
سيطل برأسه
من السماء



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

اعتراف عرييد

١٩١٨

ليس كل واحد يجيد الغناء
وليس كل واحد بقادر على السقوط
كتفاحة على سكاكين الآخرين
اليكم أعظم اعتراف
يدلي به عرييد •
انتي أسير عمداً بشعر منغوش
حاملاً رأسي على كتفي كقنديل زيت •
ويعجني أن أنير في العتمة

خريف أنفككم العاري من الأوراق •
 يعجبني أن تطير أحجار الشتاء نحوي
 كبرك عاصفة تتجشأ
 انني اكنتي عندها بأن أضغط بقوة أكبر
 فقاعة شعري النائسة •
 وكم يطيب لي عندها أن أتذكر
 البحيرة المغطاة بالحشائش ووشوشة الحور المبحوحة •
 وأن لي في مكان ما أباً وأماً
 لا يباليان بكل ما كتبت من شعر
 انني عزيز عليهما كالحقل وكقطعة من الجسد
 وكالمطر الذي ينبت السابل الربيعية
 انهما لو عرفا لغزاً في قلوبكم
 أسنان المذارة لدى كل صرخة تقذفوني بها •
 آه أيها القرويان المسكنان
 لا بد أنكما لم تعودا الآن جميلين
 ولا تزالان تخشيان الاله وقيعان المستنقعات •
 آه لو تدركان
 ان ابنكما الآن
 أعظم شاعري روسيا •
 ألم يكن قلبكما يتغشيان بالصقيع خوفاً عليه
 عندما كان يخوض حافياً في البرك الخريفية •

أما الآن فقد أصبح يرتدي القبعة العالية
والاحذية الملمعة .

ولكن لا يزال يعيش فيه أجيج العنفوان السابق .
عنفوان الفتى القروي الطائش .

وهو يتحني عن بعد

لكل بقرة يراها في دكاكين الجزائرين .

وعندما يمر بسائقي العربات في الساحة

ويتذكر رائحة الروث في حقول قريته

يصبح مستعداً لأن يحمل ذيل كل فرس

كما يحملون ذيل ثوب العروس .

آه كم أحب وطني !
آه كم أحبه !

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بالرغم من أنه مفعم بصدأ الحزن الصفصافي .

انني أرتاح لرؤية سحن الخنازير المتسخة ،

ولسماع نقيق الضفادع في سكون الليل

انني مريض بذكريات الطفولة .

وتراودني في الأحلام رطوبة وتجهم أمسيات نيسان ،

عندما تبدو ميقتنا وكأنها تجلس القرفصاء

لتصطلي بنار الفجر .

آه كم تسلقت أغصانها

لأسرق البيض من أعشاش الغربان .

ترى كيف هي الآن؟
 ألم تزل تزهو بتاجها الأخضر؟
 ألم يزل لحاؤها صلباً كما كان؟
 وأنت يا كلبى الحبيب الوفي!
 لقد جعلتك الشيخوخة نزعاً وأطفأت عينيك،
 وأصبحت تطوف في الحوش جارا ذيلك المرضى
 ناسيا بحسك أين الباب وأين الحظيرة •
 آه، كم هي عزيزة علي كل تلك الشقاوات
 عندما كنت أسرق من أمي كسرة خبز •
 ونأكلها أنا غصة وأنت غصه •
 دون أن يغش أحدنا الآخر ولو بفتاة واحدة •
 أنا ما زلت إياي!
 بقلبي ما زلت إياي!

عيناى تزهراى فى الوجه كعنبرتين بين الجودار •
 وأود أن أفرش أمامكم حصيرة الشعر الذهبية •
 وأقول لكم كلمة حنان •

ليلة طيبة!
 أتمنى لكم كلكم ليلة طيبة!
 لقد سكن صوت منجل الفجر الذى يحصد عشب الغسق •

وتستبد بي الرغبة اليوم •
في أن ... القمر من النافذة •

آه كم هو الضوء أزرق •
في هذه الزرقة لا يمز علي حتى أن أموت •
ما همّ ان أبدو رزيناً •
معلقاً على مؤخرته فانوساً !

آه يا بيغاس * الهرم الطيب المنهك •
أأنا من يحتاج لخبيك الرهو ؟

إنتي أتيت كمبدع صارم
لأغني وأمجّد الجردان
رأسي كأنه آب

ينهر منه خمر الشعر الهاج
آه كم أود أن أكون شراعاً أصفر
متجهاً إلى حيث تبحر بلادي •

١٩٢٠

□ □ □

* بيغاس في الميثولوجيا اليونانية القديمة : حصان زيوس المجنح . انبجس من ضربة حافره على جبل هيليكون ينبوع هيبوكرين العجائبي الذي يستقي منه الشعراء الالهام . يقال : اسرج بيغاس ، أي اصبح شاعراً .

رسالة الى امرأة

أنت تذكرين
مازلت ، دون شك ، تذكرين كل شيء
كيف كنت أقف
ملتصقاً بالجدار
وأنت تزرعين الغرفة مضطربة
وتقذفين في وجهي
كلمات لاذعة •



كنت تقولين :
آن لنا أن نفترق
<http://Archivebeta.Sakhril>

وإن حياتي الطائشة
قد أضتتكَ
وآن لك أن تبدئي حياة الجد
أما أنا
فمقدر علي أن أتابع الانزلاق نحو الهاوية •
حييتي !

أنت لم تحييني
ولم تدري أنني في زحمة الناس
كنت كفرس منهكة تنصب عرقاً

ولا يزال فارسها الجسور
ينغزها بهمازيه •
لم تدري
انني في لجة الدخان المطبق
في تيار الحياة التي بعثرها العاصفة
أتمزق من العذاب لأتني لا أعرف
إلى أين يحملنا القدر •
وجهاً لوجه
الوجه لا يرى ،
الضخم لا يرى إلا عن بُعد •
وعندما تغور صفحة البحر
تصبح السفينة في حالة تستدر الدمع •
أرضنا - السفينة
ولكن انساها ما فجأة
وجه الدفة مباشرة
بكل عظمة
إلى قلب العواصف والأنواء
من أجل حياة جديدة ومجد جديد •
ولكن من منا على ظهر السفينة
لم يقع ولم يتقياً ولم يشتم ؟

إنهم قلة ذوي النفوس المجربة
أولئك الذين ظلوا في الدوامة صامدين •
أما أنا

فقد كنت صاحياً للأمر
ولذا هبطت على ايقاع الصخب الوحشي
إلى عنبر السفينة
كي لا أرى القيء •
وكان عنبري
الخمارة الروسية •

وافحنيت فوق الكأس
كي أتلغ نفسي في وطيس السكر
دون أن أتألم على أحد •
حبيتي !

لقد أضنيك
وعيناك المتعبتان مفعمتان بالوحشة :
لأنني كنت أمام عينيك
أُبذّر نفسي في المشاجرات •
ولكنك لم تدري
أنني في لجة الدخان المطبق
وفي تيار الحياة التي بعثرها العاصفة
أحترق من العذاب لأنني لا أعرف

إلى أين يحملنا القدر؟

لقد مرت الأعوام
وأصبحت في عمر آخر
وبقلب وعقل آخرين
أصيح وأنا أشرب خمر العيد :
الحمد والمجد للربان •

انتي اليوم
في غمرة العواطف الحنون
تذكرت تعبك الحزين
وها أنا الآن

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أسرع لأخبرك
كيف كنت
وما الذي جرى معي !
حييتي !
يسعدني أن أقول لك :
انتي تغاديت السقوط في الهاوية
وأنا الآن
في البلاد السوفيتية
أكثر رفاق الطريق حماسة •

لم أعد ذاك
الذي كنته
ولن أضنيك كالسابق
انتي على استعداد للسير حتى المائش
وراء الانعقاد
والعمل المشرق •

سامحيني
انتي أعرف : انك لم تعودتي تلك
فأنت تعيشين مع زوج جاد وذكوي
وهومونا لا تهيك

كما انتي تقسي
لا أهيك قدر ذرة •
ARCHIVE
<http://Archivebeta.sakhril.com>

عشي
كما تملي عليك نجمتك
في ظل الحياة الجديدة
مع تحيات الذاكر لك أبداً
أحد معارفك
سيرغي يسينين •

رسالة من أمي

بم أستطيع بعد أن أفكر ؟
عم أستطيع بعد أن أكتب ؟
أمامي على الطاولة المتجهة
ترقد الرسالة

التي بعثتها لي أمي •
إنها تقول لي :

إذا كنت تستطيع

زرنا يا حمامتي في العيد

اشتر لي شالاً

واشتر لأبيك سروالاً

فبيتنا ينقصه الكثير •

كم أنا ساخطة

لأنك شاعر

لأنك صادقت هذه السمعة السيئة •

كم كان أحسن

أن تسير في الحقل وراء المحراث

منذ الصغر •

□ □ □

لقد أصبحت عجوزاً
منهوكة القوى
ولو بقيت أنت في البيت
منذ البداية
لكان عندي الآن كنة
ولكنت هدهدت حفيدي
على ركبتني •

ولكنك ضيعت أولادك
هنا وهناك
وتخلّيت بسهولة
عن زوجتك لرجل آخر •
وبدون أسرة، بدون صداقة
بدون ميناء
انفست حتى قمة رأسك
في مستنقع الخمر
بني الحبيب :
ما الذي أصابك ؟
آه كم كنت وديماً
ورقيقاً •
وكان الجميع يقولون :

كم هو محظوظ
ألكسندر يسين *
ان أملنا فيك
قد خاب
وما زاد نفوسنا المأ ومراره
هو انهيار أمل أليك
في أن تكسب نقوداً أكثر
لقاء أشعارك .
ولكن مها كسبت من نقود ،
فانك لن ترسلها إلى البيت .
ان كلماتي مشبعة بالمرارة ،
لأنني أعرف عن تجربة :
ان الشعراء لا يستطيعون كسب المال .
كم أنا ساخطة
لأنك شاعر
لأنك صادقت هذه السمعة السيئة .
كم كان أحسن
أن تسير في الحقل وراء المحراث
منذ الصغر .

* والد الشاعر .

الآن الأسى قد عم
 وكأننا نعيش في ظلمة •
 لم يعد لدينا حصان ،
 ولو كنت أنت في البيت
 لكان لدينا كل شيء •
 ولكنك بعقلك الراجح
 تبوأ منصب الرئيس
 في هيئة المنطقة التنفيذية •
 ولكننا تجرأنا على الحياة
 ولم يعد أحد يتجرأ علينا •
 ولكنك تفاديت
 هذا التعب اللا لزوم له
 وأجبرت أنا زوجتك
 على أن تعمل على المغزل •
 ولكنك يا ولدي
 سترت شيخوختنا •

□ □ □

أكور الرسالة في يدي
 واسقط في الرعب
 ماذا؟ أحقاً لم يعد هناك من مخرج

في طريقي الأثير •
ولكن كل ما أفكر به
سأقوله فيما بعد
سأقوله في الرد

١٩٣٤

□ □ □

الرد

عجوزتي الحبيبة
عشي كما تعيشين
انتي أحسن
بجبك وذاكرتك
يلمسان قلبي برفق
ولكنك لن تفهمي ولو للحظة واحدة
علام أعيش
وبم أنا مشغول في هذا العالم •
عندكم الآن شتاء
وأعرف أنك عندما تغرقين في التفكير
في الليالي المقمرة
لا تكوفين وحدك

فكان أحداً ما
 يهز الزفونة عند النافذة
 ويغمرها بالثلج •
 حنوتي !
 كيف يمكن الاغفاء أثناء الزوبعة ؟
 المدخنة تن أنين المستغيث
 ومن يريد الاستلقاء
 لا يشاهد أمامه سريراً
 بل تابوتاً ضيقاً معداً لدفنه •
 والعاصفة الوغدة
 تغني جناز الشيع
 كأن ألف قسيس يدمدم
 والثلج منشور على الأرض
 كدراهم فضية
 وليس وراء النعش
 زوجة أو صديق !

انني أحب الربيع أكثر من أي فصل آخر
 أحب السيل المندفغ
 الذي تنفتح فيه أمام كل شظية خشب
 تسبح كالسفينة ،

آفاق لا يحدها البصر •
ولكن الربيع الذي أحبه
الثورة العظمى
أسميه !

ومن أجله فقط
أكابد وأتعذب
وإياه فقط
أنتظر وأدعو !

ولكن هذه القذارة
هذا الكوكب المتجمد
لا يمكن الآن إذابته
حتى ولا بشمس لينين •

ولهذا لهذا
ذهبت بنفس شاعر مريضة
لأعربد وأشأغب وأسكر •
لكن سيؤون الأوان
يا حنوتي الحبيبة
سهل اللحظة المنتظرة
فنحن لم نقبع عبثاً
وراء الأسلحة

ذاك وراء المدفع
وهذا وراء القلم •
أنسي النقود
أنسي كل شيء
ويحك !
أ أنت من يقول هذا؟ أنت؟
أنا لست بقرة
لست حصاناً ، لست حماراً
لكي يخرجوني
من وراء الملف •
سأخرج بنفسي
عندما يؤون الأوان
لاغراق الكواكب بنيران المدافع
وعند عودتي
سأشتري لك منديلاً
واشتري لوالدي ما قلت لي عنه •

أما الآن فالزوبعة ما تزال تدور
والعاصفة الوغدة
تغني جناز التشيع

كألف قسيس يدمدم
والثلج منشور على الأرض
كدراهم فضية
وليس وراء التعش
زوجة أو صديق .

١٩٣٤

□ □ □

شاغانية

شاغانية .. يا الأنت لي .. يا شاغانية
الأنتي من الشمال يا ترى
أرغب في أن أحدثك عن الحقل
وعن أمواج السنابل في ضوء القمر
يا شاغانية .. يا الأنت لي .. يا شاغانية

الأنتي من الشمال يا ترى
لأن القمر أكبر هناك بسنة مرة
مهما حوت شيراز من الحسن
فهي ليست أجمل من بطاح ريزان
أهذا الأنتي من الشمال ؟ !
أرغب في أن أحدثك عن الحقل

لقد أخذت هذا الشعر من بيدر الجودار
 لفيه على إصبعك ان كنت ترغبن
 فلن أشعر بأي ألم
 أظري إلى خصلات شعري الأجد
 تعرفني كل شيء عن أمواج السنابل في ضوء القمر
 أفرحي يا غاليتي ، واضحكي
 ولكن لا توقظي في نفسي الذكرى
 عن أمواج السنابل في ضوء القمر
 شاغانية .. يا الأنت لي .. يا شاغانية .
 هناك في الشمال
 فتاة كأنها أنت
 ربما كانت تفكر في الآن
 شاغانية .. يا الأنت لي .. يا شاغانية .

١٩٢٤

❑ ❑ ❑

مُوزارت و سَاليري

للساترا البغارى : ايفريمكارا نفيروف • ترجمه : ميخائيل عيد

صمت رنات الاغنية المتوحشة

ولن تنطلق ثانية ...

م . ب . ليرمونتوف

اهتم بعمل بوشكين الصغير هذا الكثيرون من مؤرخي الادب الباحثين . انه يجتذب « الوقائعين » والباحثين في اجناس الصور الادبية كما يجتذب محبي المقارنات الادبية النقدية : ما هي المصادر التي انبعثت منها فكرة وصف النموذج التراجمي ، وهل عرف الشاعر الوقائع في العلاقة الحية بين موزارت وساليري والى اي حد تجسدا شخصيتين تاريخيتين في صورتيهما الادبية ، الى أي حد استفاد الشاعر من مختلف الاعمال التي دار فيها الكلام على الحسد بين افاس الفن وغير ذلك .

ومن ناحية اخرى فالمسألة الاساس في المغناة تبدو واضحة للغاية : العلاقة بين العبقريه وضيق الافق ، ولادة الحسد والجريمة . كأنما ساليري هو اعادة تجسيد لفاغر ، الشقيق الروحي لبطل غوته ، فهو غير

راض عن نفسه ويعرف ضعفه ولهذا يحقد . في هذا المجال تتحرك اكثر التفسيرات . هناك طبعاً ، تلوينات .. فيلينسكي مثلاً يرى « ان ساليري ، من حيث العقل والمعرفة اسمى بكثير من موزارت ، اما من حيث القوة الابداعية التلقائية فهو لا شيء أمامه » (ف.غ. بيلنسكي ، الاعمال المختارة في ثلاثة اجزاء . الجزء الثالث ، صفحة ٦٢٠) ورأى آخرون ان هذه المغناة تدور حول - العبقري والجريمة (أ.م. نوسينوف « تاريخ ابطال الادب » ص ٤٩١) كما يرى آخرون ايضاً ان بوشكين قد جسد حادثة حسده المشهورة لرفائيل ساتسيون من وجهة الفنانين فراتشيسكو فراتشيسيا واندرها دل ماترو (م.ب . الكسييف . آ . م . بوشكين ، بولن ، اعمال مختارة - المجلد ٧ ص ٥٤١) .

يشير تنوع التفسيرات الى ان الشاعر العظيم قد اودع في عمله تلك القوة الحية المؤهلة لتحطيم اطر المواضيع وتكون أكثر تعدداً في الجوانب وأغنى من البناء النظري المحيط بها . من الجلي اننا أمام قطعة من الحياة ، منفعمة بالتوتر ، امام طبعين في لحظة تصادم درامي ، يتحان لنا النظر اليهما كما ننظر الى واقع . والمغناة حيوية وصادقة حتى اننا ننسى الشخصيات الفاعلة ونقف أمام بطل بوشكين المدعون موزارت وساليري ... هذان الملحنان المبدعان في الموسيقى .

لم يتمتع الشاعر العظيم في أي مكان آخر من قضيتة الضخمة ، بمثل هذا العمق ، في السمات المكونة لطبع مبدع حقيقي . كل الباحثين تقريباً يرون أن البطل الرئيسي هو موزارت . لم يكتب بوشكين مغناته حول ساليري

بل حول موزارت . ولقد جرى بحيوية ضمير وقائية تتبع ما اذا كان الشاعر قد عرف نماذجه ، افكارهم ، وما اذا لم يكن قد درس حياة ساليري بهذا القدر من الجد أو اذا كان قد تعرف الى حياة موزارت . إن بوشكين ، مثله قلة من معاصريه ، قد عرف العمل الابداعي « دون جوان » واجبه بعمق وقوة كما لم يجب أحد . يكفي أن ندخل الى جو هذا العمل البوشكينى لنشعر ان روح موزارت يسيل هنا ، ان شيئاً اعق من الحقائق التاريخية قد ولده : انه التقارب الروحي ما بين العبقرتين اللامعتين .

موزارت وبوشكين ، هذان الطفلان العبقريان من اطفال الهارمونيا ، اللذان يبدعان ببساطة اخاذة وبسخاء وغزارة ، اللذان ببراعة طفلية يسكبان بين الناس ولقرون « المئات من جداولهما المفردة » قد التقيا في هذا العمل الدرامي لصغير . ومع ثالثهما « الرجل الاسود » .

لم يكتب بوشكين المغناة من اجل موزارت وحسب بل ومن اجل نفسه . انها مفعمة بروح عام ١٨٣٠ - زمن نيقولاى الاول ، روح المعدومين يستيل وريليف ، روح سييريا والديسمبين . انها عمل تنبؤي . وستبع الرجل الاسود طوال سبع سنوات خطوات الشاعر المجيدة كظل قائم . ثم اخيرا سيتصب خلف البارون داتيس . ويتحتم ان يهلك بوشكين كما هلك موزارت في شبابه المتألق .

دائماً يتكون لدي انطباع بان كبار الكتاب الروس هم قبل كل شيء شعراء للفرح الانساني . انهم تقاد عظماء للواقع الذي يعيشون فيه . ومن الروح النقدي بالذات يتضوع ايمانهم غير المحدود بالانسان . ان

داقتي عبقرى العصور الوسطى المتجه ، قد غنى الجحيم غناء عبقرى ، ولكنه لم يستطع ، بالرغم من جهوده العملاقة ، ان يمالك حتى الجنة . ولكن الشاعر الروسي غوغول ، منذ ان بدأ ، حسب قناعة توماس مان « الانطلاق من الابداع الفرزى نحو الوعي النقدي الابداعي » - قد وصف الجحيم في روسيا الملاكين واعماق التفاهة الاجتماعية ... ولكنه عبر من ناحية الكوميديا ، من ناحية التراجيديا ، ليصل الى شعر النفس الروسية . ودعا عمله حول النفوس الميتة مغناة .

دوستوفسكي توغل الى اعماق اعماق النفس البشرية ، الى حيث لم تصل عين من قبل - ورأى الهول والشقاء . ولكنه لم يتوقف عند هذا الحد . لقد نهض فوق الهاوية وصار مغني الاخلاقية الانسانية .

وبوشكين في عمله الخزين هذا قد غنى للشر الانساني والحسد ولكنه انتقل من هناك ليصل الى الاحتفال العظيم بالعبقرى الهالك . « موزارت وساليري » هي مأساة حول الحسد ولكنها مغناة للانسان المبدع . بطلها الرئيسي ليس ساليري بل موزارت ، الشاعر الهالك ، الذي ارغم حتى قاتله على ان يسكب دموعا حماسية على آخر اعماله الابداعية .



« موزارت وساليري » هي ابداع موزارتي حقيقي لبوشكين . فكأن الشاعر يدنو من الابطال باسماء وبرفق ، ولكننا نكتشف ، بين الرنات المغنية ، دهشين ، اننا مسرورون فوق الهاوية المأساوية ، القصائد تشع سكينه خارجية متناغة ، ولهذا ثمة تحت الذروة المشمسة يحس عيقا في مكان ما افعال

خفي ونبض داخلي • هنا يتدفق النور ، وهواء ربيعي • في ابتسامة موزارت لبوشكين كأنما الظلال ترسل الشرر ويستكين الشبق • ولكن الشبق ، القاتم السافل حي ، ومولود وسط ضوء الموسيقى : الحسد •

من اين يجيء ؟ ساليري بحب الموسيقى ، انه مغرم بها • لقد صارت كنه حياته ومغزاها • ونحن اليوم في أغلب الاحيان نلتقي باناس من أهل الفن لا يرون الفن هدفا بل وسيلة • وهم يمتلكون جيدا ، أحيانا ، ما يدعى المهارة ، مستقلة ومأخوذة على حدة ، دون ان يعانون بتاتا قضايا انسانية حقيقية عميقة ولا يطرحون بتاتا مهمات كبيرة وبعيدة • انهم مؤهلون للحسد ولكنه حسد صغير لا يتجاوز في عمقه سوى غشاء الزهو والغرور المرقش • انهم يحسدون المبدع لا على ابداعه ، بل لان لديه امكانية ان يعيش حياة أجمل وينال مزيدا من التكریم (المجد عندهم مرتبط بالترکيمات الرسمية) وبما ان هؤلاء الناس غير مؤهلين لاستيعاب اعماق العمل الابداعي وقيمته الحقيقية ، فهم يحثون عن سر النجاح في طريقة ما بارعة • وكالدجاجات في خرافة كريلوف يقومون الصقر بكونه يستطيع ان يشي مع انهن لا يستطعن الطيران ولا يفهمنه • ان حسدهم صغير وشرير • حسد تافه من نفوس تافهة •

ساليري انسان من طراز آخر • الموسيقا لديه فكرة وهدف حياة • لقد وهبها كل طقوله وشبابه ، وكل قوى روحه • لقد جسد بها احلامه • وهو مؤهل لان يعجب بغلوك وموزارت ، وقد تصادق مع شاعر مثل بومارشيه • وهذا ما جعل بعض دارسي هذا العمل الابداعي ينظرون باستحسان ظاهر الى هذا الكادح المكرس نفسه كلها للعمل • وختمت المسألة بان ساليري ليس

عبقريا وانما هو موهوب • والموهبة تحصد العبقرية • لقد وجدت المعادلة —
انها واضحة جبرياً ، فكأنما قد قالها ساليري نفسه •

هكذا يبدو الامر للنظرة الاولى • ولكن التحليل الاعمق سيكتشف
ان الشاعر العظيم قد اودع في هذ البطل فكرة ، تحتوي الكثير من تلك
المشاعر التي اثارته ، والكثير من القطرات المسمومة التي اجبر على شربها :

الحرفة

وضعتها اساسا لصرح الفن •

صرت حرفيا

ودربت اصابعي على المهارة المطوعة الجافة

ودربت اذني على الدقة ••

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ثم يقول :

قتلت النعمات ،

وشرحت الموسيقى كالجثة •

هذا الاستشهاد الشخصي ، هذا الاعتراف غاية في الحزن • انه سهل

مهتنا • فكأننا امام محترف عادي للموسيقا ، وهو يحس ذلك بمرارة •

تضايقنا صراحة الاعتراف فقط • والعفويون ، عادة ، محدودون بشرف عملهم ،

الفاغтериون فخورون ، واثقون من انفسهم ، وراضون دائما عن انفسهم • ومن

السير ان يصدر عنهم اعتراف كهذا •

ولكن فنانا حقيقيا قد اعترف بمشقة بضعف ابداعه حتى امام نفسه

ومن الواضح ان نفسية ساليري ليست بدائية الى الحد الذي تبدو معه
للنظرة الاولى .

ولكن الملحن يستمر في اعترافه :

حين ظهر غلوك العظيم
وكشف لنا اسراراً جديدة
(اسراراً عميقة أسرة)
ألم أتخل عن كل ما عرفت
ما أحببته وما آمنت به بجرارة
او لم اركض خلفه بحمية
دون خوف كمن تهاجم
وضل سواء السبيل ؟

نرى شيئاً مفاجئاً . هذا الرجل مؤهل لأن يتذوق الجديد في الفن ،
وان يتقبله ويرفض ، على مضض ، تقنيته الابداعية الخاصة القديمة .

ان الفاعترين ، بالمعنى الواسع للنفس هم عادة محافظون ولا يقبلون
التخلي عن طرائقهم الابداعية ، التي امتلكوها بالعمل ، والان دفاع وراء الجديد
ومن ناحية اخرى ، فان ثقتهم بانفسهم ومشاعرهم الذاتية تمنعهم من ان يجربوا .
انهم محافظون وتقليديون . لا يتقبلون بتاتاً ولا يقدرّون على أن يتفهموا
شاعراً كبيراً يأتي بأصوات جديدة ، بهارمونية جديدة وبرؤية جديدة في الفن .
وظهر ان ساليري قد تقبل الجديد في الموسيقى دون إعتراض ، وسمى

بنفسه لان يكون مجددا ، واظهر بظهر الخالق ذلك المبدع الذي ظهر . فهل نحن امام اعوجاج في الطبع ، ام ترانا امام نوع من تناقضه الداخلي ؟

ارى ان الشاعر العبقرى قد قطر هنا أيضا ، عيقا جدا ، الى طبع بطله . ذلك لان محترف الفن لا يكون دائما وفي جميع الحالات واثقا من نفسه كماغتر . وهو ليس دائما محافظا . وعلى العكس من ذلك - فأن الاكثرين طموحا ، اولئك الذين يبحثون دون توقف عن « سر » النجاح ميالون لان يكونوا « مجددین » . انهم ميالون لان يفضلون على المعلم القديم المنسي ، ذلك الجديد الذي يدوي اسمه بمجد يافع ، انهم يعلمون ان تذهيب الحداثة جذاب دائما .

ومن ناحية اخرى فان اولئك الذين لا يحملون فرادة ابداعية متألفة ، ميالون لان يرفضوا ابداعهم القديم ببسر وان يقوموا ، أغلب الاحيان ، بانعطافات حادة في طريقهم الابداعي . لا احد من المبدعين يبدأ دون معلم ، ولكن المبدع الحق يتجاوز معلمه بمشقة او يتخلص بسهولة من وصايتهم عامة . . العربة المثقلة بالاحمال لا تستطيع القيام بانعطافات عادة . ولهذا فإن أكثر المعجبين ضجة بالمجددين الصاخين هم اناس كساليري .

وفي الجوهر نرى انه طموح جدا ، ولكن تنقصه الفرادة الابداعية البارزة . لقد كشف الشاعر بقليل من الاسهاب الاحادية المستقيمة في طبع بطله واظهر بعض تلك البواعث الداخلية التي ينبغي ان تقوده الى الجريمة . وفي الواقع ، وبعد أن تقبل « غلوك العظيم » وتعلم منه أعلن ساليري بسرور : « بلغت درجات رفيعة . المجد يتسم لي » . لا يضع حب العمل

والطموح لدى هؤلاء الناس . انهم يستطيعون بذكاء ان ينقلوا نماذج أبدعها مبدعون وان يبلغوا « درجات رفيعة » . واخيرا فان الملحن الطموح قد اطمأن . لقد بلغ المجد الذي تعطش اليه . اشبع غروره . والآن يحين أواز التحقق الهادي الجميل .

وفي هذه الفترة غير المناسبة بالذات يظهر موزارت . والسؤال الكبير هو : لماذا لم يتقبله ساليري معلما له ، لماذا لم يحاول ان يقلده . من الجلي انه قد ادرك جيدا ان هذا مبدع اكبر بكثير من غلوك ، ان هذا هو « هايدن الجديد » ان العقول المتهورة تميل دوغمائيا لأن تكون وفية لا لدوغمات معينة وانما لتلك الدوغمات التي تقودهم الى النجاح الاسرع والابقي . وهم في هذا المجال يستطيعون « ان يستوعبوا » .

ولكن ساليري قد فهم دفعة واحدة امرا خطيرا عليه : ان هذه الموسيقى الجديدة ، التي نبتت على غير ما انتظارا ، لا يمكن تقليدها . وانها موسيقا اخرى ، تختلف عن كل ما التقى به حتى ذلك الحين . وان هذا الضوء المنسكب يصعب التقاطه في سلة . لقد تجلى موزارت في لحظة سوء لساليري . كان قد امتلك ، بشكل ما ، « السر » في موسيقا غلوك ، وشرع ، بشكل ماء ، يتمتع بسكينة الابداع ، ثم ها هو انسان جديد يأتي . يبدو ان هذا الانسان سيخلط كل شيء . وباحاسيسه المرفهة بالنجاح ادرك ساليري انه حتى لو استطاع ان يقلده فلن يصل هذه المرة الى نجاح سهل . ذلك لان الاصاله في هذا الابداع غير صارخة واستقازية . انها تكمن عيقا في مكان ما ، وتوهج من الداخل .

وساليري المستعد للان دفاع وراء كل حداثة في الفن ، لم يستطع قبول

الحدادة الحقبة حين التقى بها . في أغلب الاحيان يصير تلامذة المجددين اعداء الداء للسبدعين الجدد . اسلوب الابداع الغريب يدحض المزيفين اعنى ما يكون الدحض . موزارت ليس مهياً لتأسيس مدرسة . انه مصنوع من مادة اسمى . المعلمون قد يصبحون اناسا من امثال : بوتشيني ومن امثال غلوك .

لقد استطاع الملحن الشمسي ، فوق كل شيء ، ان يستثير الحسد . حسد اثارته السهولة ، السهولة الظاهرة ، التي يبدع بها . فلتتصور الجهود القصوى التي بذلها ساليري هذا الذي قرر أن يبدع موسيقا ويصاوم المجد ، انه يصعد درجة فدرجة ، صابرا ، مخلصا والعرق على جبينه . وباعتزاز مشروع ينتظر هتافات الاستحسان والاعجاب . وفجأة يطير حوله بسهولة مذهلة انسان شاب تسلق الدرجات باسمه ومد يده للكادح الفارق في عرق الابداع . وهناك حيث وصل ساليري بجهود قصوى من موزارت منذ زمن وراح ينتظره باسمه . لقد مضى صعدا ولكنه التفت بشهامة ليساعد زميله .

هذا رهيب . تلقاه ساليري معتبرا إياه أسمى اهانة ، انها اهانة المصير . « اواه ، أيتها السماء أين هي الحقيقة ؟ » - صرخ الملحن مأساويا . ابتسامة المبدع النبيلة استقرت طموح المزيف الصغير بأشد مما يستفز الضحك الاكثر شرا . كان ساليري سيسعد لو أن موزارت حام حوله ثم انطلق صاعدا نحو الغيوم دون ان ينظر اليه . ولكنه مد له يد الصداقة . كان ساليري سيسعد لو ان موزارت احتقره . ولكن العبقري اعتبره ندا له . وعامله كند .

التقط الشاعر العظيم هذه التلوينات البسيكولوجية ووضعها بيد واثقة دقيقة . نحن نعرف بأي كره ملحاح ، بأية كراهية صماء ، بأية قسوة مبتدعة

وحسد خائق يكره الضئيل المحروم من الموهبة رفق العبقري العريض • ولكن الامر هنا اعقد • ليس الحسد وحده ما يعتل في نفس ساليري • لقد خالطه عدم الفهم • انه يقر بأن موزارت يبدع موسيقا لم يبدعها احد حتى ذلك الوقت • وكأننا مبدعها لم يدرك مدى جمالها •

تمنى ساليري ان يكون موزارت فخورا ، متعاليا ، مفعما بحب الذات ، يعامل الآخرين بازدراء .. ولكن رحابة العبقري الفاتنة تجاه قضيته ، وتجاه المجد ، والبساطة الفاتنة في موقفه من الآخرين ، ذلك ما لم يستطع ساليري فهمه • ذلك ما ملأه حدة • موزارت ارق بكثير والطف من ان يكون عدوا • وهذا ما زاد ضغينة ساليري •

واستنبط بوشكين ايضا عدة سمات بسلوكية في هذا الجنس من الطبع البشري ، سوف يعمقها فيما بعد بعق خاص دوستوفسكي وبروست : الطباع الشمسية توقظ لدى بعض الناس من الضغينة أكثر بكثير مما يوقظ الاشرار والعنيدون وافظاظ أنهم مؤهلون لأن يكرهوا أشد الكره ، اولئك الذين يجسدون أجمل أحلامهم •

بدا تطور الحسد لدى ساليري واضحا وشاملا • وقد عرف الشاعر العظيم بسلوكية الحسد ، كما يحدث لأكثر الشعراء العظام الذين ينبغي عليهم أن يختبروه أولا فوق ظهورهم : فهو كالصاعقة ، يضرب الاشجار السامقة ، وتلك التي تحط عليها الطيور ، لأن مداها يصل الى حيث يصل قطر الحاسد ، وهي تعصف في خط مواز — للخط العام للوضع الاجتماعي ، لأنه يزهر بشكل صارخ في المجتمع المغلق لوظيفة ما ، لدائرة عامة ، أو جماعة ، وغير ذلك • ويبدو أن الامر هنا أكثر امتاعا •

فلنعد الى نفسية ساليري • بعض الباحثين يرى أنه موهوب • وهذا غير صحيح في رأيي ، فالسمة العامة للموهبة تتجلى في التفرّد الابداعي • وهذا غير متوفر لدى ساليري • والفصل حول غلوك يؤكد ذلك •

يرون ان ساليري كان مؤهلا لان يحس موسيقا موزارت ويفهمها • فهم الموسيقا في البداية ليس كافيا لشخصية مبدعة • أرى ان ساليري قد تعمق كثيرا في التقنية الكاملة والهارمونيا الخارجية لموسيقا موزارت • ولكنه لم ينجح بتاتا في النفاذ الى عمقها المأساوي • والذي رآه ساليري ، بالطبع ، يكفيه ، ليكتشف الهاوية السحيقة ما بين « تاراروم » و « دون جوان » ولان يحسد • ولكنه لم يستطع أن يدرك أن بساطة هذه الموسيقا هي انبثاق لتعقيد، وان سكونها الكريستالي هو انبثاق للعواصف والاضغاث الداخلية ، وان فوق هذا الابداع الوضاء يمتد ظل « الرجل الاسود » •

ويظهر أهم سؤال حول طبع ساليري : هل أحب الموسيقا فعلا ، وهل أمثال هؤلاء الناس ، عامة ، مؤهلون لان يجب أحدهم الفن أكثر من نفسه ، وقضيته أكثر من شخصيته ؟

بعض دارسي المغناة يؤمنون بأن ساليري قد أحب الموسيقى - ومن هنا ظهر حقه : من كبر المهمات اللواتي يطرحهن ومن عجزه الابداعي عن تنفيذهن • وارى أن الامر ليس كذلك •

ثمة وصف في المغناة لعدة حوادث عرضية • أهمها حادثنا موسيقي
الشارع والتسيم •

حادثة موسيقي الشارع المروية بين حوادث أخرى تكشف وجه المبدع
بعمق يصعب ان نجد له مثيلا في مكان آخر من الأدب العالمي • يشارك فيها
ثلاثة أشخاص هم : موزارت وساليري وموسيقي الشارع •
اليكم عدة أسطر من وصف هذه الحادثة العرضية •

يتكلم موزارت :

عزف عازف الكمان الاعمى في الحانة

يا للروعة !

لم اطق صبرا فقدت العازف

لا ستأثر بفنه

ادخل

(يدخل الشيخ الاعمى ومعه كمانه)

هات شيئا من موزارت !

(يعزف الشيخ استهلال « دون جوان » يقهقه موزارت)

ساليري : اوتستطيع الضحك !

موزارت : آه يا ساليري

وهل أنت لا تضحك !



ساليري : أجل .

لا أرغب في الضحك في حين

يخربش لي تجار فاشل عذراء رفائيل .

ولا أرغب في الضحك في حين يأتي

غر تافه ويمسح الغيريا

اذهب أيها الشيخ .

يبدو أن ساليري أكثر اخلاصا للفن من موزارت . وإن موزارت ليس له موقف من الفن وهو يسخر منه بهدوء . وإن اذنه أكثر خشونة أو أقل دقة من اذن ساليري . وأكثر من ذلك فإن موزارت يعجب بموسيقا الشارع هذه . حتى انه ليهتف باحتفاء « رائع ! » كما يحدث دائما للناس المؤهلين للابتهاج ثم يقوم « بمكاشفة » امام صديقه ليتداول معه حول الشعور المتولد .

ولكن حمام الوعي البارد ينتظره هناك . فساليري ليس لا يبتهج وحسب وليس لا يحب الابتسام وحسب بل انه يوجه خطابا كاويا مرثانا حول انتهاك حرمة الفن والهواية . ويطرد موسيقي الشارع الذي أحضره موزارت . في هذا المشهد شيء رمزي . وخاصة وداع موزارت التراجيدي المقعم اسي ، والابتهاج المبثور - « أشرب من أجل صحتي ! »

الموسيقي الاعمى يترك الصديقين . يتركهما وحيدين . يقف القراء حائرين : من المصيب منهما ؟ نحن نعلم أية اخفاقات خطيرة توقعها الهواية بالفن ، ونعرف كم حق كبار المبدعين من غوستاف فلووير حتى توماس مان على الهواة . وبالمناسبة ، اليس ساليري أشرف ، وأكثر استقامة ، وأكثر

تقصيا ؟ وهل موزارت النبيل بلا حدود ، مؤهل لان يدع وحسب ولكنه لا يستطيع أن يستشعر ماهية الموسيقى الحقّة ولا يعرف مؤديها الحقيقيين ؟ يجب أن يسقط هذا الامر على الفور . نعرف ان موزارت كان منذ الخامسة من عمره عازفا عظيما . وهو مدير فرقة مرموق وليس ثمة من هو أكفأ منه لان يعلن ماهو موسيقا وما هو ليس موسيقا ، على الرغم من أنه يسمح بامتداح « تاراروم » ساليري .

أمر آخر هو الأهم هنا . فنحن امام تصادم كلاسيكي ما بين الروح الجافة للحدلقة ونفس المبدع المزهرة ، بين الدوغائية والشاعر الطليق . جو هذا اللقاء يحملنا الى لقاء عظيم آخر في الأدب مشابه لهذا اللقاء : تصادم دون كيشوت والجزويتي الكاهن في قصر الدوق . فخطابا ساليري والجزويتي متشابهان جدا . ودخان حرائق الزهو المطفأة متشابه جدا جدا . ساليري ، الملحن ، المبدع ، هو في دخيلته أخ بالروح لذلك الواغظ المتجهّم المستعد لان يرسل الى المحرقة كل فكرة حرة وكل اثبات حر للشعور . الن يرسل بعد دقائق معدودات زميله العظيم الى المحرقة ؟

ان الخوف المتحدلق من انتهاك حرمة الفن ، من توغله في أعماق الشعب ، يكشف طبيعة ساليري الدوغائية . مشبوهة جدا هي توضيحاته لبقاء حبه للموسيقا وحده الجافة تجاه الموسيقى الفقير الذي لم يترفق حتى بعماء . فلنتصور ساليري وموزارت في اللقاء المستع : من جهة تلك الحياة الخالية من كل فتنة ، من كل جاذبية ، هذا الطموح الضئيل القاتم النظر ، والشعور الاعتادي بالذات الذي يفضل احتقار الآخرين على ان يفهمهم . غرور الحدلقة

الحاد هذا - جليدي ، ظريف نقي ولكنه معاد للانسان بعمق التعالي الساهر -
المستهين بالمعني ، هو عدم الأهلية للتعاطف وللحب .

ومن ناحية أخرى - الاهتمام اللطيف المتفهم من قبل موزارت ورغبته في
أن يحس لدى الهاوي حب الموسيقى ، نقياً ، دون حقد أو حسد ، غير ملطخ
باخلط وحول الغرور والخيلاء . موزارت يدرك ، طبعاً ، مع من يتعامل ،
وقد استطاع ان يرى خلف عدم الكمال الشكلائي للاداء ، اخلاص العازف ،
للفن . كان الاعشى يعزف « دون جوان » موزارت ، وقد فهم الملحن ان
الرجل الفقير يحس موسيقاه ويتقبلها بقلبه . من المحتمل أنه لم ينفذ الى
أعماقها ولكنه أحبها .

لاشيء أجمل من زهو موزارت أمام موسيقي الشارع . انه يرفعه
في قلنا لا كفنان حقيقي وحسب بل وكأنه كان حقيقي . في النفوس
المتعاطفة ثمة على الاغلب الحن الواحدة ، كلمة واحدة ، صورة واحدة توقظ نبعا
من التعاطف والمشاعر والذكريات وتبدأ الروح كلها ترتعش في حياتها غير
المريئة . وهذا ما ليس ساليري مؤهلا له .

العابرة والموهوبون حقاً يبدون على استعداد دائم لمد اليد الى الشعب
عبر رؤوس جفاف ضيقي التخصص . هنا لا يتعلق الامر بمطالبة الهواة ،
الذين يجبون ان يأكلوا الفن بالملعقة بعد العشاء على اعتباره عتبة «دوسرت»
وانما يتعلق بحب الشعب الازلي للفن . موسيقا موزارت هذه الينايع المفردة ،
ستجري نحو المستقبل بفضل حب الناس النقي من أمثال الموسيقي الاعشى
وخارج الاسوار الفنية التي سيقمها أناس من أمثال ساليري .

سالييري يطرد الاعمى • موزارت يصيح : « اشرب نخب صحتي ! » بعد دقائق معدودات سيضع مراقب ثقافة الموسيقى ضيق الافق الجاد ذو الاختصاص الضيق ، السم في كأس اتقى مبدع للموسيقا •
أما الموسيقي الاعمى فسينغي طوال الحياة لا من أجل صحة موزارت العظيم بل من أجل روحه هو روح موزارت •
لماذا سم سالييري موزارت ؟ قبل أن نطرح هذا السؤال يجب أن نتذكر أمرا يبدو صغيرا : يلاحظ الشاعر أن سالييري يقل يحمل السم طوال ثمانية عشر عاما ، من أجل ذلك الذي سيهينه أكثر من سواء • وقد قرر ان يعطيه لموزارت •

حين احتفلت مع الضيف المقيت
خيل لي انني ساواجه عدوا حقودا
وأن البلية الشريرة
قد هبطت علي من الأعالي الشاهقة
اذ لن تضيعي يا هبة الايزورا
وقد كنت محقا • لقد وجدت أخيرا عدوي •
وأثمني هايدن الجديد
بدهشة غريبة : والآن
حان الحين !
فيا هبة الحب المشود
انتقلي اليوم
الى كأس الصداقة

ثمانية عشر عاما وهذا الرجل يحمل السم ، لينتقم من أكثر مغضبيه .
لكأنه يعرف أن أحدا ما ، في مكان ما ، ينبغي أن يهينه ، ومبعث ذلك طموحه
المتفوز وشكه في قواه الابداعية . ذلك هو أحد ينابيع مأساته الحياتية .
هذه المأساة تستحق في مرحلة معينة صلابه الطبع . انها ترفعه فوق الفاغرين
الذين هم دائما أكثر بكثير . الشعور الذاتي البليد المحدود لضيق الافق
في الفن يجعله متعاليا وحسودا . ولكن لهذا الحقد والحسد جذورا أكثر
تشابكا . الحقد والحسد الحقيقيان قد يعصفان من الشك تقول الاسطورة
الفارسية أنه حين حاول اريمان أن يقلد هرمز ويخلق افاسا ، راح يصنع
قرودا . وحينذاك التهب العداوة الحادة بينهما .

الفاغريون مؤهلون لرفض العبقرية ، لان يخرعوا حيلة لا حصر لها
للتقليل من قيمته وشم قضيت ، وهم مؤمنون بما يفعلون . لا يستطيعون
الاحترق وهم مقتنعون بأن شعلة الابداع غير نافعة ومؤذية . الفاغريون
مؤهلون ليكونوا أحيانا عاملين شرفاء للفن ، اذا وجهتهم حياتهم هذه الوجهة .
دائما ، حين اقرأ أحاديث غوته مع ايكerman أقنع بأن ايكerman يحمل نفسية
فاغر . ولكنه بطيبة خاطر أراد أن يكون سكرتيرا للمبدع وهكذا فعل للفن
أكثر بكثير مما لو أنه طمح الى تقليد غوته . أي حكيم كان غوته حتى
استطاع أن يحول الفاغريين الى سكرتارين عظماء بدلا من أن يظلوا مبدعين
مزيفين .

هذا هو الامر الذي لم يكن ساليري ليوافق عليه أبدا . كان يفضل
الموت على أن يصير سكرتيرا لموزارت أو حتى أن يكون عازفا عاديا لموسيقاه .

بقدر ما كان يدرك سالييري أنه مبدعاً حقيقياً كان يريد سعيه ليقنع الآخرين بأنه مبدع . وبهذا القدر سيكون ثقل الاهانة التي سيلحقها به من يظهر له بأي أسلوب كان ما يشكك بإمكانياته الابداعية . وأثقل الاهانات هي تلك التي نكتشف بها الحقيقة بأنفسنا في هذه الدرجة أو تلك .

عدم الرضى الداخلي والشك جعل سالييري يحمل السم . لقد أعده سالييري لمهينه أو لنفسه . موزارت رجل مرح محب للحياة . سالييري رجل متحجم منغلق . وبفضل مروته وأهليته « للتطور » استطاع سالييري أن يصل الى « المجد الاصم » . الناس مقتنعون بالأمر الذي يشك فيه شكاً قاسياً - عبقرية . وراح سالييري يزداد اقتناعاً بالرأي العام ، وأن يضغط الشك ، أن يطمئن . وراح درب السم يزداد ترجحاً ما بين كأسه وكأس مهينه . السم يحكي الكثير على طبع سالييري وخاصة خلال الاعوام الثمانية عشر هذه التي كان خلالها يشتغل كصدره وكروحه . ان حقيقة كون الملحن مستعداً لحماية شرفه لا في نضال مكشوف ولا في مبارزة خطيرة وحاسمة كما سيفعل الشاعر بوشكين ، وإنما بالسم ان هذه الحقيقة بذاتها تنبئ بسفالة . فالسم دائماً هو سلاح السفلة . البوشكينيون يدافعون عن شرفهم والمسندس في اليد . السالييريون يهاجمون بالسم . بهذا التفصيل توغل الشاعر في ظلام احدى النفوس البشرية .

طوال ثمانية عشر عاماً والملحن يجتمع مع أقاربه ، يرحون ، يصب النبذ ، يتبادلون كلمات الصداقة ، ولكن السم مترصد كالرصاصة في سبطانة المسندس . لا أحد من هؤلاء لم يهن سالييري . لا أحد لم يلح الى إمكانياته الابداعية . لا أحد لم يجرح غروره الحاد المتكبر . السالييريون غير

مؤهلين لاستشارة الحسد ويستطيعون اللجوء الى جبروت عمومية أمثالهم . ولكن هايدن الجديد — هذا الانسان المنتظر ، الذي يجب أن يهلك . بقدر ما يحس المزيف قوة العبقريّة بوضوح ، يصبح أوضح لديه القرار بأن هذا الانسان يجب أن يزال . أن عدم التوافق بين الاقرار الاجتماعي والقرار الداخلي الذاتي يزداد عمقا . ويمتزج بالخوف السافل الذي يعيش في شخصيات من أمثال ساليري . متى سيدرك أنه غير مبدع ؟ متى سيشرق الضوء الذي يشع من موزارت الظلام ويظهر للناس أنهم قد خدعوا ؟ ويقدر ما يعجب ساليري بموسيقا موزارت سترداد إلهاته : هنا لا يدور الحديث على الحسد بل على الالهة . الاعجاب في نفس ساليري يأخذ شكل إلهة .

هذه ، ان صح القول ، اللحظة الذاتية . ولكن ثمة لحظة موضوعية ، غاية في الامتاع أبرزها بوشكين بقوة خاصة . هاكم هي :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لقد تم اختياري
سأضع له حدا أو سأهلك
كنا كهنة في خدمة الموسيقى
ولست الوحيد

في مجدي الاصم .

ما عاد ساليري ينطق باسمه الخاص بل باسم المجموعة ، باسم أصدقائه ، باسم « كهان الموسيقى » . انهم ، جميعا ، قلقون من موزارت من غزارة سخاء ابداعه ، ومن بريق هذا الابداع وقوته . ثقيل حسد غير المثمرين ، عسير الولادة ، لاولئك الذين يبدعون « بسهولة سالكة » أن مونوبول الزيف

يجب أن يقاتل ضد القادم الجديد • الموهبة عار على المزيفين واهانة لهم •
العبري - هول • وهم يستطيعون اظهار سلطانهم عليه بطريقة واحدة - بأن
يزيلوه • والآن ليس سالييري وحده بل المنظومة الساليرية ستقاتل ضد موزارت
الشاعر يذكر فقط مجموعة المزيفين ، ولكننا نحس قوتها وسعيها المتآزر لدعم
مجدها الاصم ، لترفع جفافها مسلسلة ملازمة ولتسم حياة المبدعين الحقيقيين •

سالييري قتل موزارت ليحمي طمأنينة كهان الموسيقى • ها هي المسلسلة
الاخلاقية التي يبحث عنها القاتل ليبرز عمله • سفالة الجماعة تستطيع جعل
الجريمة قانونية • السالييريون يستطيعون دائما قتل الانسان النظيف باسم
مبدأ ما ، باسم مثل أعلى ما ، حتى ولو كان السكينة • اليست هذه السكينة
ابداً !

ARCHIVE

<http://Archiveba.Sakhrat.com>

وهنا تتكشف طبيعة سالييري على حقيقتها • فللنظرة الاولى يبدو أن
الموسيقا لديه هي فكرة حياته وهدفها وجوهرها • لقد اودع فيها حبه للمجد،
وحبه للشرف ، وروحه الصغيرة السافلة • « أغنيات الجنة تسخط الرغبات
غير المحنجة » - بأي قدر من الدقة قالها الشاعر ! لا أجنحة لرغبات سالييري ،
لا رفيف ، لا مدى • هناك ، حيث يذوي حلم الابداع الجسور المندفع ، تكون
الرغبات دون أجنحة • حيث اضطراب الابداع ، والاتعمال العميق وارتعاشات
الحياة حبسية ، هناك تكون الرغبات دون أجنحة • حيث القلق خوف على
السكينة ، هناك تكون الرغبات دون أجنحة •

ما كنت أريد في هذا المجال أن أعرض موزارت بساليري • هذا مهين للعبقري • ومع ذلك فالطباع، المنسوجة من ضوء، من الشباب الازلي للاتفعال يصعب تصويرها • لقد تقدم بوشكين بحكمة • لقد رسم ساليري ولكنه من خلاله غنى لموزارت • وكعظماء الرسامين كثف الظلال ليلتمع عبرها جمال المبدع المتوهج •

ما كان بإمكاننا ، على سبيل المثال ، أن تصور موزارت في موقف الحاسد • (وجد مؤلفون اتهموا بوشكين بأنه كان حسودا) وقبل كل شيء : من سيحسد ؟ ثم — ان الذي يجب الفن حقا مؤهل للابتهاج العميق الصادق خارج نفسه ومجده الشخصي • فكأننا موزارت هو الموسيقى ذاتها التي ابدع فيها • من النبيل والاهتمام المفعم احتراماً في موقفه من عازف الكمان الذي من الشارع ومن ساليري نفسه • ليس عسيرا على العباقرة أن يكونوا طيبين وسعداء في آن واحد •

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

حسد ساليري موزارت على البساطة التي يبدع بها ، ولكنه ليس في وضع يمكنه من أن يحس عذابات السخاء الابداعي • كل شيء لديه « واضح كالسلم الموسيقي البسيط •• » لقد رغب في ان ينزل كل شيء حتى مستوى « هارمونيا الجبر » و « هارمونيا الجبر » بالذات هي التي جعلته عدوا لدودا لكل روح ابداعي • الدوغمات تجب دائما بشدة ان ترتدي معاطف العلمانية ، لتكتسب مظهرا أرسخ ولتجارب بزيد من النجاح التشابك غير المحدود في عالم الفن والغنى اللامتناهي للتفرد الابداعي •

مأساة ساليري هي لقاءه مع موزارت • لولاه كان سيحقق باطمئنان

وهدوء ، تجربة مجده و « نجاحات غير صغيرة » • لو أصطدم في طريقة
بعقري جموح مثل يتهوفن ما كان سالييري ، سيقدر القتل • فمؤلف
السمفونية التاسعة كان سيمر به كالعاصفة • وسيطرح به من عالم الموسيقى •
ولكن سالييري التقى طفل الهارمونيا المبتهج ذاك ، ليقتضي عليه باسم
الهارمونيا •

مأساة موزارت هي ان الساليزين يقررون تعاطي الموسيقى ، وان يصبحوا
مبدعين • هؤلاء الذين يخلقون قرودا لا يتحملون المبدعين الذين يدعون
بشرا •



ARCHIVE

لقد وجه الشاعر العظيم لحل مأساته ، التيارات العميقة في الطبع وليس
الجريان الخارجي للحوادث • تقف أمام وصف هذا القتل الاقل غنائية من
قتل لينسكي في « ايفغيني أوينغين » ولكنه أعمق دون ريب •

الحافز الاساسي هنا كأنما هو فكرة موزارت :

... العبقرية وفعل الشر

أمران متنافيان • أليس ذلك صحيحا ؟

عند هذه الملحوظة يضع سالييري السم في كأس ضحيته • من هذه
الفكرة يتبع العديد من الباحثين لغز العمل الابداعي • سالييري ليس عبقريا

وارتكب الشر • موزارت عبقرى ويؤكد بكل قلبه ان العبقري غير مؤهل لأن يقتل •

ينبغي ان تؤكد أولا ان المشهد مذهل الواقعية في صحته البسيكولوجية • فنحن الآن نواجه شر ساليري وسفاته أيضاً • فهي تتساقط ورقة أثر ورقة مثل زهرة تفتحت جداً حتى النهاية المأساوية : ساليري يلوم صديقه لانه شرب دونه (الكأس التي تحتوي السم) ، ثم يضيف ساخراً « ستنام طويلاً ، يا موزارت » وباحثاء يستخدم التورية قائلاً « الى اللقاء » •

تجاه هذه السخرية السافلة العادرة يقف مصداقاً كالطفل ، الرجل الذي يدق بصداقة كاسه بكأس القاتل • لنأخذ فقط رنين الكأسين اللتين أحدهما طافحة بالسم - ففيه من المأساوية أكثر بكثير مما في مئات والوف الصفحات حول القتل السافل التي تسلا الأدب العالمي • وفي هذه اللحظة تثير القاتل إحدى الفكر : ارتكب العبقري جريمة • لا بعدنه ضميره ، لا يضايقه الاسف لجفاف نبع اغنيات ، لا يهزه الحزن على الصديق ، لا تضايقه الابتسامة السمحة للرجل الواقف أمامه • انه يفكر بنفسه ، بمجده - هو عبقرى أم لا •

ان صورة ساليري يمكن ان تقارن بشدة سفاتها وقبحها بصورة أخرى في الأدب العالمي - انها ياغو شكسبير الذي قال جورج براندس عنه ، ان في جسده الصغير من قوة الشر أكثر مما في كل ما كتب • ونحن نتذكر الجندي الذي أخفى سفاته الشيطانية تحت قناع فظ من استقامة الجندي ومكره الدساس تحت قناع الصراحة الجريئة • وساليري أيضاً ، وهو اللحن ، المبدع ، يخفي كراهيته تحت قناع الاعجاب بضحيته • والاكثر هولاً أن هذا الاعجاب صادق •

أعبروا اهتمامكم الى أن الجافين من الناس يصيرون عاطفين حين يشعرون بعمق • سالييري كان عذب العاطفية لحظة انتقامه من صديقه • ثمة في هذه العاطفية نبرة احترام لموزارت • انه احترام بين أكثر التحركات النفسية لا ارادية •

وموزارت وقد شرب السم يتكلم على الصداقة العظيمة بين اناس الفن وعلى جمال هارمونيا الموسيقى ، وعلى الزمن الذي سيفرح فيه جميع الناس بهذه الهارمونيا • طوال الحياة ظل موزارت يغني أناشيد الفرح • التشيد الذي وصلت اليه عبقرية يتهوفن عبر هاوية العذابات النارية • خاتمة ابداع يتهوفن كانت انغام الفرح الوضاء • أما خاتمة ابداع موزارت فكانت سكرى نغمات الاسى العميق « صلاة الجناز » •

انستطيع ان تتصور لوحة أكثر تأثيرا : ملحنان يتحدثان حديث الاصدقاء حول الموسيقى وحول قوة الصداقة الازلية • ولكن أحدهما قد وضع السم في كأس الآخر وراح يدعوه بود لشربها • ويرفع الآخر الكأس ليشرّب فخب :

من أجل
صحتك ، وآخر ، للاتحاد الصادق
الذي يربط موزارت وسالييري
ابني الهارمونيا •

هذا النبل النابع بصدق ضايق حتى سالييري وأرغمه على القول :
« توقف ، توقف ، توقف ! » ولكن دهاء المؤلف يعود على الفور : « أنت

شربت ! من دوني ؟ » • كعدراء رافايل وقف موزارت أمام قاتله بالاطمئنان
النقي لاولئك الذين لا يعرفون الآثام البشرية — انه أسى منها بكثير ، حتى
ليخجل من فعل الملحن ، الذي يدعى ابناً للهارمونيا •

ومات موزارت • لاول مرة سيستمع ساليري الى موسيقاه باطمئنان ،
دون همس الحسد ، ولاول مرة بشعور الظافر • وباقصى العفوية سيفرح
بالهارمونيا :

استري ، اسري

ترجمي املاي أيتها الانعام روحي !

القاتل يدفع ضحيته لأن يعزف « صلاة جنازه » فوق قبره • ولديه
القوى ليستمتع بهذه الموسيقى ! هنا تكمن سادية أصنى وجفاف روحي أكبر
مما في طرد الموسيقى الاعسى • وهذا الذي يؤمن ساليري انه دائما سعيد الى
حد مهن يقول في الوقت نفسه :

طوال الليل والنهار لا يمنحني السكينة

رجلي الأسود •

انه يلاحقني كالظل

والآن أيضاً يبدو وكأنه جليسا

انه ثالثا •

الرجل الاسود يقتني خطوات محب الاشعة • ساليري لن يعرف من
هو الرجل الاسود ، لن يتعرف على وجهه الخاص • ولكن الظل هنا ، مختبيء

وراء كلمات حديث الصداقة ، وراء شرارات الخمر المراح ، وراء ثماله سوداء في احدى الكأسين . منها تنبثق ممزقة الانفس انغام « صلاة الجناز » التي تعلقو كنشيج واتحاب فوق هذين الرجلين اللذين سيموت أحدهما الآن توا .

والآخر يعجب بالهارمونيا التي فيها اتظمت الالحان المأساوية ، فلا يستطيع أن يكتشف نفسه فيها سها . لقد تحول هذا السم الى موسيقا . موزارت مغني الفرح — يغني الآن للعذاب الانساني ، للموت الغريب السهل المنتظر . طوال الحياة وساليري يسعى الى المجد . ولقد بلغه للتو حقاً خلال عمل هو الذي « أوحى » به . فمن ذا الذي سيتذكر هذا الرجل ويتكلم عليه لولا موزارت و « صلاة الجناز » ؟ تلك هي السخرية الشمسية ، ثمن العبقرية العظيم .

موزارت سيموت ساليري سيعود منترورا الى أصدقائه ، « كهان الموسيقا » . ولكن موزارت هو الآخر سيعود الى أصدقائه مغني الشوارع الموسيقيين العميان ، الى الشعب الازلي المتعدد الوجوه . سيقظ منفصلاً دائماً عن الساليريين . كان الشاعر مرغماً على العيش بينهم ولكنه لم يبدع أبداً لهم . ولم يستطع أحد أن يسجن موسيقاه في معابدهم الكهنوتية التي سودها دخان التبغ . من الآن فصاعدا سينتمي موزارت الى الشعب والى المستقبل . لن يستطيع البشر السود أن يفعلوا به شيئاً .

فالروح في القيامة المنشدة
سيحتل رمادي وستهرب اشلائي

وسأظل مسجداً على الارض

ما دام عليها مغن واحد .

كلا ، ليست مسألة العبقرية والجريمة هي التي أثارت الشاعر أكثر ما
أثاره ، حين وضع عمله العبقرى . شيء آخر أقلق بوشكين : انه سالبيره ،
رجله الاسود الذي يقتني خطواته ، المنظومة الساليرية التي أدانت عبقرية
روسيا الشعرية الوضاء . ذلك لان ثمة على الطرق الابداعي لكل موزارت
لن يسير واحد وحسب بل قطع كامل من البشر السود ، الساليرين ،
ويتسابقون على حمل كأس السم اليه متلفعين بمبدئية دون جذور ومتحسين
بشراب حسن النية المسبق .

أعبروا انتباهكم الى ان سالبيري والساليرين في حلف مع المتسلطين ،
مع أولئك الذين يملكون القوة المادية والجبروت ، انهم في وحدة مقدسة
مع الاباطرة ، والملوك والامراء والادوات والوزراء . وهم ليسوا أبداً على
تضاد مع الروح المهيمن في الحياة .

انهم في سعيهم الى « مجدهم الاصم » الاكثر مرونة والاكثر أهلية
للتكيف مع مختلف التغيرات في العلاقات الاجتماعية . وهم دائماً يخدمون ،
قبل كل شيء ، مطامعهم الشخصية ثم الفن أو يخدمون ، قبل كل شيء ،
مطامعهم الشخصية ثم الفن أو يخدمون مطامعهم من خلال الفن ، وهم
ثم يمارسون التنظير كثيرا وبالكثير من المنطق والاقناع حول قدسية الفن ،
حول حق المبدع في ان يبرر كل شيء باسم الابداع ، وفي أن يكون فخورا
مستقلا .

ولكن الفن يمارسه كهان الفن ، بشخصياتهم هم ، كما يحدث غالباً في الأديان . وها هي المسألة : كل شيء مبرر - حتى الجريمة - باسم الابداع . ولكن ماذا يعني « باسم الابداع »؟ هذا يعني باسم « المجد الاصم » . ماذا يعني كل شيء مبرر به ؟ « هذا يعني قتل كل المبدعين الحقيقيين ، هذا يعني مكيدة ، افتراء ، سخرية ، حقدا . هذا يعني اتصاماً عن حياة الشعب ومثله العليا . جميل جدا ومناسب هذا الشعار « كل شيء مبرر باسم الفن » مناسب جدا وجميل ان يرفع الفن فوق الحياة على شكل ديانة قائمة بذاتها : مناسبة « للكهان » لوجودهم المريح المطمئن . وهكذا من الاسهل ان يصير المبدعون فئة من « الكهنة » وهكذا يضمنون بشكل افضل امتيازات فئة الكهان . ولم يعد ثمة معنى للأخلاق والشرف والشعب في قظرهم . الفن قبل كل شيء . ولكن ليس الفن باعتباره تضحية بالذات بل الفن باعتباره حرية طلب التضحيات من الآخرين .

الساليرون طموحون ومرثون . يستطيعون ان يكونوا مجددين ، او محافظين حسب الظروف ، او كما يقال ، حسب ما يتطلبه « مجدهم الاصم » . وكى لا يلحق بهم الاذى يحملون السم في جيوبهم ويتحدثون احيانا حول الانتحار ، ولكنهم غير مؤهلين للقيام بأصغر انتحار ابداعي حقيقي - في ابداعهم وخلال ابداعهم . انهم لا يقدرّون على اخضاع « المجد الاصم » باسم الابداع . انهم يفضلون التضحية بالابداع وكل شيء آخر احتفالاً بهذا « المجد الاصم » الذي يتخذ غالبا كموقع ، أو تأثير أو طمأنينة ، أو نجاح في الحياة .

وثمة شيء آخر : الساليرون هم الخدام الازليون للدوغمات . الدوغمات هي الارجل الخشبية الطويلة التي يجهدون للتسلق بها على

سلم النجاح • « كهان الفن » في اعماق دخيلتهم دوغمائيون ، انهم أنقى تجليات الدوغمائية • امكرهم يستطيعون الشعوذة بالدوغمات ، يستطيعون رميها في الهواء ثم يقبضون عليها كما يفعل الدجالون •

واذا ما أظهروا فنا في مكان ما فتلك هي اهليتهم لأن « يرقصوا بالخناجر » — ان يرقصوا حول خناجر الدوغمات ويرسلوها ببراعة باتجاه الموزارتين والبوشكيينين •

فن الساليرين دوغمائي دائما ، ولهذا فهو محمي نظريا • انهم يستطيعون الاختباء وراء درع من العلمانية الدؤوب أو الماكرة ، المتحجرة أو اللدنة ولكنها دائما قتالية ومزيفة •

والموهوب ، من ناحية ، معرض لهجمات الساليرين لأن جسده الطري غير مضمون بأية دوغمات • انه ضد الدوغمائية ، وهو رجب متضاد ، مطواع للتشريح • الموهوب والعفري هما الدريشان الأزليتان لرميات الدوغمائيين • وكالبرابرة يحبون ان يربطوهما الى سلم العار ويرشقون بسهام الحسد جسديهما ليحربوا مهارتهم في الرمي • الموهوب يجتاز السلم طيرا ، ولكن المزيف لا ينسى ابدا ان يحاسبه على ذلك • وغالبا ما يأتي الحساب من ناحية حصون المكائد الادبية العادية ، حتى يصل الى السم •

وراء العذابات النفسية ، والانكار وتوبيخ كل موزارت يختفي حتما ساليري ما • واكثر من ذلك: وراء الهلاك الجسدي لكل موزارت (والموزارتيون في اغلب الاحيان يموتون باكرا) ثمة في مكان ما يختفي ظل ساليري — حقود حصود ، مذعور ، مرتعد من اجل « المجد الاصم » •

مأساة موزارت الحقيقية - وهذه هي المسألة الأساسية في العمل الابداعي - هي أن يعيش واقعا يتيح لساليري أن يفرح « ابداعيا » بهدوء وان يقدم بحرية كغوسا فيها السم لأكثر النفوس تألقا ، لأكثر معاصريه نبلا . .

لحن « صلاة الجناز » يسكب عذوبته الاخيرة ويتلاشى متلجلجا فائنا .
ادوار المغناة الختامية تنسكب مع آخر افغام الموسيقى . انتهت المأساة . اسدلت الستارة .

ولكننا نرى الحقل المغطى بالثلج ، البارون داتس يصوب مسدسه ويطلق النار على الشاعر . نرى صخور داغستان المتقدة والرائد مارتينوف يصوب مسدسه ويطلق النار على الشاعر . نرى الرجل النحيل طويل الاتف يشعل بالنار اعماله الابداعية وكأنه شعل نفسه معها . نرى كئبان الثلج ، الاشغال الشاقة في سبيريا والكتاب العظيم والقيد في يديه . نرى البشر السود ، الساليرين ، ينفخون وجناتهم « بالهام » ليطفئوا شعلة الابداع حيثما اشتعلت . ولكننا نحس كم هي دون جدوى جهودهم . لان في هذه الشعلة ومن خلال هذه الشعلة تتوقد روح الشعب العظيمة .

قصائد من بنغلاديش صوت أمّة جديدة

• ترجمة: عبد النبي اصطيف

* كفاح ١٠٠ لا سلام

مؤق كل شيء في طريقنا
واقذف بعرش الظالم
فكلمتنا ستصبح قانونا في يوم ما

★ ★ ★

لا هدم ، ثورة

ثورة ، ثورة

فالخلود ملتف حول فؤوسها

وتاريخ حياتنا ،

يرفرف في الراية المصبوغة بالدماء ،

تَحْمَمُ في ألوان الشمس

الثورة لا محالة ستأتي

□ ناظم محمود

لا سلام ، كفاح

كفاح ، كفاح

كفاحنا سيستمر

القسم القاطع لشعب تاهض

سوف يتقد في ملايين العيون

★ ★ ★

لانسوية ، ثار

ثار ، ثار

في الثار لدمائنا

سوف نمتح من دمائهم

انهض ، واغدُ غير قابل للتحكم

✽ مشهد يومي

هناك قوة
في أوصالنا الضعيفة اليوم ،
فولاذ في كل عرق ،
وضياء في كل عين ،
ومع كل نفخة
تحطم المطارق ...
الحطام العتيق .
ومع كل ضربة منجل
ستقطع أطناب التدهور

★ ★ ★

كل يوم يحدث هذا
وسيجدث ثانية
فهذه النار عديمة الخوف
وستتقد ثانية ، ثانية ، ثانية .
هذه النار عديمة الخوف
ستتقد ثانية وثانية
وهذا زمن الكفاح
فحطم قيود العبودية

□ أحمد منصور

كل يوم يحدث هذا
وسيجدث ثانية
فهذه النار عديمة الخوف
وستتقد ثانية

★ ★ ★

عمال دون راحة
مسيرات غاضبة تزحف ،
والدروب والحقول تهتز
بصوت الفلاحين

★ ★ ★

كل يوم يحدث هذا
وسيجدث ثانية

★ ★ ★

الحياة ليست سلبية أوعية
والدموع والانتظار عديما الجدوى
وهذا زمن الكفاح
فحطم سلاسل العبودية

★ ★ ★

* سيأتي يوم لا يعرف فيه الواحد منا الآخر

ويوماً ما سندفع بعيداً عن كفاح
الحياة
سنغادر المسيرة الصامتة ، ونمضي
نحو ميلاد آخر ، وسوف أدعوك
ثانية وثانية

وعندما لا تجيب ،
فإني أمضي إلى أرض الوهم
حيث نقف وجهاً لوجه في وحدة تامة
يوماً ما سنمضي - أنت وأنا - إلى
الريف الذهبي
مع أن واحداً منا لن يميز الآخر .

□ داود حيدر

كل شيء يمضي
ويوماً ما سيذهب كل شيء
ولن يعرف الواحد منا الآخر
وسيبقى الحب الغائم متردداً
كرغبات الحياة

يتطلي صهوات الريح والسماء
الزرقاء .

★ ★ ★

وحتى عندما تلتقي عيوننا ، لن
يعرف أحداً الآخر
وحتى عندما يمر واحداً بالآخر ،
لن نرى : ويوماً ما سيكون جسدانا

معاً

اشارات

المصدر : (قصائد من بنغلاديش : صوت أمة جديدة) لندن ، ١٩٧٢ .
Poems From Bangla Desh
The voic of a Nem Nazioh, P. L.
The Lyrebird Pres London, 1972.
PP. 32, 15, 26.

ومن أجل المزيد من الشعر البنغلاديشي المترجم انظر مجلة الفرسان .
« قصائد من بنغلاديش : صوت أمة جديدة » ترجمة : عبد النبي اصطيف ، العدد ١١١ ،
أيار ١٩٧٩ صفحة ٤٦ ، فليه قصائد قصيرة لـ نيامة حسين ، بيجوم صوفيا كمال ، ابو هنا
مصطفى كمال وعمر علي .

مَعْرِفَةُ الشَّاطِئِ

• ترجمة: إبراهيم يحيى الشهابي

• قصة: ج. و. د. أبريو

لا يشبه شاطيء ميامي شاطيء السالمية في الكويت ، فان كان رواد الاول من المجتمع الطبقي ذي الطبقة الحاكمة المتغايرة فان الكويت تفاخر بعالمية الأنواع التي تخفي نفسها وراء مظاهر التفوق النبيلة .

جاء شاب ليس وسيمًا على الإطلاق إلى الشاطيء بدعوى التمتع بشهد البحر فرآها . وما ان وقعت عينه عليها حتى أحس ساندی Sandy بأن شيئًا لا يفسر يجذبه نحوها ، وكان جمالها ووجودها وحيدة لا يحميها احد ولا ترافقها وصيفة سببا كافيا لجعله يؤمن بأن الجمال مغناطس اثوي يجذب المعادن الادنى مثله . ومما دار في خلده انه طالما لا يفقد الذهب بريقه ولا الساتان لمعانه ولا الجمال جاذبيته فان الناس لن يقنعوا بشيء في الحياة ابدا . وسرعان ما بدأت الدنيا تمهد الطريق الى قلبه . . . فلو تحققت الاماني لعرف المرء ما سيحدث — لأصبح الشحادون بارونات ولغدا العور ملوكا في مملكة العميان ، بيد أن ساندی بتعليله للامور تعليلا ناقدا خالصا قد اكتسب ادراكا

يعصمه من الانخداع بتحليقات خياله ، ومع ذلك فقد خفق قلبه خفقانا جارفا
اذ اسرته هذه الصبية برشاقتها وسحر ظراتها ، كما أوحى له هيئتها بأنها
تنتمي الى الطبقة الاجتماعية العليا التي لا تختلط بسواها . فوقف معجبا بها
مشدوها كالمنوم مغناطيسيا . ومما لا شك فيه ان سلوكه كان بالنسبة للاكثر
تعقلا وحكمة حريا بنظرات الشرر ، ولكن ساندي المصفح ضد خشونة النسيج
الاجتماعي اظهر لباقة وحكمة في اخفاء بؤرة عينيه المبتهجتين .

لم يكن في اعجابه ذاك ما يدل على الهمجية والفحش ، بل كان اعجابا
جماليا خالصا — يتعامل مع الجمال والجماليات — مؤكدا أيمانه بأن الحياة
لوحدة فيسفسائية معقدة من العلاقات الفلسفية .

أما مبارزته لبطل كالواقع بقشة خيالية فكانت اقوى من مبارزة منطقية
تكذب ما كان فيه ، فقد قاده منطقته الى ان التفكير الرغبي ليس الا قيда ابتكره
البلهاء ليكبلوا به العقلاء . فقال لنفسه لا بد ان اعود الى الواقع ، « تحرك
يا ساندي ، انك عربة بطيئة . »

لم يكن ساندي بالطبع اسكتلنديا حذرا فهو بعيد عن اسكتلندا بعد
لايمهاوس عن ليمرك (١) .

كما ان مظهره الشخصي كان يؤرقه فقد كان يرى نفسه كأبله يطارد
سرابا ، ، وهو امر لا يعني شيئا . فكرر القول لنفسه : « تقدم ايها العربية
البطيئة . افعل شيئا ، تصرف . » وكان على وشك أن يتصرف فعلا عندما
رأى الصبية الفاتنة توميء الى شخص ما ، فتوقف واستدار الى تلك الجهة

متظاهرا بعدم الاهتمام قدر الامكان فرأى بنتا صغيرة تركض نحوه وعلى شفتيها ابتسامة تحية ملائكية • فتمتم لنفسه بحسم : «لم أكن أعلم انها أم •»
لم تغير هذه المناجاة الذاتية الورعة من حقيقة انها بعيدة المنال فهي بالتالي مرغوبة فوق كل رغبة • وادرك ساندي بخبرته ان الظرف مناسب لتوليد النظرية واقنع نفسه بالابتعاد •

ان تاج الفضيلة يقع بلا استثناء على رؤوس الاوغاد الذين اذا ما اتهموا شعروا وهم في جهنم كأنهم في بيوتهم تماما كما يشعر السمك في الماء ، بيد ان ساندي لم يكن بروليتاريا متبججا ذا ضمير ماركسي ، بل تجنب كل ما يوحي باتهام في شخصيته بانضباط وذكاء مكيفيللي يتميز به عمره الذي يناهز الثلاثين • كان وجهه المنحوت نحتا عشوائيا يبدو وهو يخطر على الرمال كرخام تمثال صنع لتكريم شخص ميت بشع الوجه •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

حاول بتقوى كاثوليكية ان يطرد الافكار التي كانت تؤرقه ولكن عبثا •
فلقد اضاع بهجة جمهور العظلة عندما زحف بمكر على الشاطئ المنحدر •
واخيرا قال لنفسه مستسلما : « يا لعنة ! يجب ان افعل شيئا • »

حاصرته افكار طاغية حصارا جعلته يشعر بالثقة من قدرته على وضعها موضع التنفيذ • لم يكن في هيئته ما يدل على الفقر الهيدلجي (٢) مضرب الامثال عندما بدأ يتابع خطاه مرحا • فبرزته التي خيطت خياطة انيقة ، والفضل يعود الى فن الخياطة ، قد اخفت شكله الناحل ذا العظام البارزة الذي كان سيبدو كهيكल عظمي لو طبقت عليه أصول فن التساوق الروماني الاغريقي •

كانت مشيته تدل على ثقته بنفسه دلالة واضحة ، ولو كان في باريس لمرك
كمار سبيل متسكع . كان يختال بجلال كاذب تختلط فيه الرقة بالجلافة
اختلاطا مقبها . وسرعان ما قطع ساندي المسافة متعجلا ، ولكنه لم ير لها أثرا
هناك . بل رأى الفتاة الصغيرة تعدو جيئة وذهابا وكأنها تلعب إحدى ألعاب
رياض الأطفال برعاية أمها التي أخفت نفسها في مكان ما لهذا الغرض . فاقصد
ساندي في مشيته حتى بدا كأنه يتمتع بحذر شديد بحصته من هواء المساء
المنعش محققا بذلك كمالا مسرحيا .

رأته الصغيرة يقترب فهرعت للقائه فاتحة ذراعيها باكية تقول : « بو -
هو ، أريد الذهاب الى البيت » . فركع ساندي على ركبتة واحتضنها بذراعيه
وقال لها مدهانا بصوت تخالطه عذوبة السكرين : « ما بك يا صغيرة ؟ » ،
ثم حملها بين يديه وتلفت حوله . كان المكان مهجورا ، فاقشعر لتصوره أن أمها
يسكن ان تكون مهملة الى حد ترك طفلتها تائهة هكذا . بدأ يستكشف المكان
حوله واعتقد في تلك الفترة المحدودة من الزمن أن الحياة الزوجية ليست
بالتأكيد مهرجانا مستمرا خصوصا اذا ما كان للمرء أطفال .

بدأت الطفلة بين يديه تربكه ، فقد نسيت أمها وشرعت تتزلف اليه بدلال
طفواني لكي يحملها على ظهره . ولكنه أنزلها الى الارض بدلا من تلبية رغبتها ،
نشكله البائس وهو يدير ظهره لها كالفرس ثم السير بها وهي تمتطيه لأمر كبير
عليه لا يحتمله . بيد أن الطفلة بلسانها البريء واغواءاتها اللطيفة استطاعت
أن تجره الى مكان وقوف السيارات . وهناك رأى الصبية الحلوة في سيارة
مكشوفة انيقة تجلس انهما بالبودرة . فحاطبها متلعثما وقد انحنى بكياسة

شيسترفيلدية مشيرا الى الفتاة الصغيرة : « أو ... معذرة ... أظنها ابتكت المنقودة ؟ » فأماطت علبة البودرة عن وجهها الجميل في الحال ونظرت اليه بمقلتين كحبتني عقيق وأجابته ببرود جليدي : « أخشى الا تكون ابتتي . فهل لك أن توضح الامر ؟ » فرد دونما تفكير وقد تجمد اذ سمع انكارها البارد : « أليست هذه الطفلة ابتتك ؟ » فهبت في وجهه غاضبة : « لا تكن غيبا . فأنا لا أعرف من هي . لقد وجدتها تلعب على الشاطيء ، وبالمناسبة ، من أنت ؟ » فأجابها ذليلا . « لقد رأيتك تلعبين معها فخطر لي ... » فقاطعته بحزم : « لا يهمني ما خطر لك . أرجو أن تنصرف . »

وقف ساندي كالأبله تحت زخات من قطرات امرأة حانقة ، ووجد نفسه يتحول الى وضع من التودد الایسائي ، فقال : « ولكن ... » فاثهرته : « انصرف والا استدعيت الشرطة . »

لم يناقشها ساندي بل التقط الطفلة بوداعة وعاد ادراجه بخطى سريعة دون ان يبدي أية مقاومة . وعلى مسافة ليست بعيدة رأى جمهرة من الناس وسمع صوت امرأة يعلو فوق الصخب . لم يكن ذلك هو جسيم ملتون بالضبط ، بل كان الحشد منضبطا لوجود شرطي بين الجمهور .

انبرت من بين هذه الجمهرة امرأة وهرعت نحوه تصرخ مولولة : « ذلك هو ... ذلك هو خاطف الأطفال . » وقبل أن يتمكن ساندي من لمدة افكاره كانت المرأة بجانبه تصب عليه جام غضبها بوجه متقلب التلون . وبعد ذلك بدأت الامور وفق مقتضيات الموقف تماما . أمسكت يد مؤخرة عنق ساندي فما كان منه الا أن شرع يتلعثم بمبررات مهذبة ، ولكن

الواضح ان كلماته وقعت على آذان صماء . فقد كانت تدور في رأس الرجل ذي البزة الزرقاء أفكار أخرى . وكان ساندي كمن يكلم رجلا في القمر . ان الفوضى وأصوات الاتهام الجماعية التي صدمت اذنيه قد احالت الجلبة الى برج من الصمت . ثم اخترق صوت صارخ هذه الجلبة فدفع الشرطي ساندي بجلافة جانباً ليفسح الطريق أمام سيارة نزهة ، وعندما مرت السيارة بهم لمح ساندي وجها جميلا يلتفت اليه ، وتبين في ذلك الوجه نظرة شيطانية وتعبير احتقار له . فأغضبه ذلك كثيرا لأنها شرحت شخصيته تشريحا خاطئا بمضغ عينها المتسائلتين . فانفجر صائحا : « تعالي يا حبيبتى . » ثم أخذ كلاهما ينسحب من الجمهور ويشق طريقه الى مشهد رسمي آخر .

ان العناية الالهية التي ترعى البلهاء والمكبرين على السواء قد وضعت ساندي تحت رعايتها الخاصة ذلك المساء وهو في السجن . لقد بدأ بمغازلة امرأة جميلة مغازلة غير شريفة كروميوس متسكع ، ولكنه وجد نفسه في النهاية يردد عقبيه خلف القضبان . انها لعدالة شاعرية ، هكذا يمكن للمرء أن يدعوها . بيد أن ساندي ، باعتباره واقعيًا ، لم يخدع نفسه بأي تصور بأن المرأة الجميلة قد نذبت رحيله . ولاستكمال الاهانة الموجهة اليه أضافوا اليها الاذى . فقد جزوا له شعره ، فلم يعد أهدب الشعر بعد الآن .

١ - ليمرك : مدينة في ايرلندا تقع على نهر شانون ، ولايهابوس : مدينة على نهر التايمز في انكلترا ، وهذا المثل شبيهه بالمثل العربي : «يعد الثرى عن الثريا» .

٢ - الهيدلج : اسباني من طبقة النبلاء الدنيا

ليـلة

• ترجمة: محمد الظاهر

• سرماية: هارولد بينتر

« يعتبر هارولد بينتر اليوم ، في طليعة الكتاب الشباب في المسرح الانجليزي »

ولد هارولد بينتر في لندن عام ١٩٣٠ ، وعمل ممثلاً مسرحياً في احد مسارح لندن عام ١٩٥٧ ، وفي هذا العام تفتحت عينا بينتر على الكتابة للمسرح ، فكتب مسرحيته الاولى « الفرقة » ، واكمل كتابة مسرحيته ، « الخادم » و « حفلة عيد الميلاد » في نفس العام .

وقد توالى انتاج بينتر المسرحي منذ تلك السنة ، فكتب ما بين ١٩٥٧ و ١٩٧٥ مسرحياته التالية .

- * الحفلة
- * هزال والم
- * المجموعة
- * مشهد ريفي
- * المحب
- * الوكيل

✱ العودة الى البيت

✱ وأخيراً ، « لا ، أرض الرجل » التي كتبها عام ١٩٧٥ .

ولم يحضر بينتر اهتمامه على كتابة المسرحيات الطويلة فقط ، فقد كتب العديد من المسرحيات القصيرة ذات الفصل الواحد ، والتي تضمنتها مجموعات المسرحية التي صدرت حتى عام ١٩٧٥ ، كذلك فقد مارس الكتابة للتلفزيون والسينما ، فألف خمس مسرحيات تلفزيونية ، وكتب قصص وسيناريوهات بعض الافلام .

عام ١٩٦٠ كتب أهم عمل مسرحي له « الوكيل » ذلك العمل الذي حقق له شهرة كبيرة ، حيث حصلت تلك المسرحية على جائزة ال « ايفنيج ستاندرد دراما » كاحسن عمل مسرحي لذلك العام ، وجائزة صحيفة ال « غيلدان نيويورك » .

عام ١٩٦٧ حصلت مسرحيته « العودة الى البيت » على جائزة « نقاد الدراما » وجائزة حلقة « برودوي » .

حين بدأ بينتر الكتابة للمسرح ، وضع نصب عينيه قضية رئيسة وهامة ، قضية أن يكون متميزاً عن غيره من كتاب المسرح الانجليزي ، سواء في الشكل أو في المضمون ، وقد أستطاع أن ينجح في تحقيق كليهما معاً ، فافرد بشكل ومضمون خاصين وأستطاع كذلك أن يربط بين عمله المسرحي والجمهور ، مما حقق له هذه الشهرة خلال هذه الفترة القصيرة من عمره المسرحي .

الشكل المسرحي عند بينتر :

يتميز الشكل المسرحي عند هارولد بينتر بالكثير من الميزات ، التي ظل محافظاً عليها في مختلف أعماله ، مما جعلها من خصوصياته المسرحية ، رغم ظهور بعضها في أعمال الكتاب الآخرين .

وأول هذه الميزات ، قلة الشخصيات في مسرحياته ، فنحن حين نستعرض أعماله المسرحية ، ابتداء من « الغرفة » وانتهاء بـ « لا ، أرض الرجل » نجد أن معظم أشخاص مسرحياته يتراوح بين اثنين ، ثلاثة ، أربعة ، أو خمسة على الأكثر ، ما عدا مسرحيته الأولى الغرفة ، التي زادت عن ذلك العدد ، بالرغم من قلة شخصياتها أيضاً .

ثانياً : كلماته الباردة ، اللطيفة ، الظريضة . الموسيقى ، والمدهشة في آن واحد ، وجملته القصيرة ، والفطنة والذكاء في إيجاد التراكيب الدراماتيكية التي تجمع تلك الكلمات وتعبّر عن الموقف بشكل دقيق .

ثالثاً : اعتماده على الجمل المبهمة ، التي تجذب المشاهد إليها ، لكي يتابع الحوار لأن الإبهام في تلك الجمل يبدأ بالوضوح شيئاً فشيئاً كلما تعمقنا في المسرحية ، وتقدم تطور الاحداث .

رابعا : تعمده خلق الشخصيات الغامضة داخل الحدث ، تلك الشخصيات التي تفسر الحدث وتلقي الكثير من الضوء عليه ، مع بقاء تلك الشخصيات غامضة ، مثل شخصية « روبرت نيوتن » في مسرحية « الازمنة القديمة » و « الزنجي » في مسرحية « الغرفة » فقد أستطاع المؤلف من خلال « روبرت نيوتن » ان يكشف الكثير من الأشياء في شخصية كل من « كاني ،

وآنا « مثاماً استطاع جلاء حقيقة الموقف من خلال « الزنجي » في مسرحيته الغرفة ، دون ان يكشف لنا عن حقيقة تلك الشخصيات الغامضة .

خامساً : اعتماده في بنائه المسرحي على الكيفية التي تتذكر بها شخصيات مسرحياته الحدث ، كل شخصية على حدة ، بحيث يظهر لنا من خلال ذلك كل شخصية على حقيقتها ومظهراً أثر ذلك الحدث عليها ، وعلى نفسياتها ، مستغلاً بذلك الجانب السيكلوجي لتلك الشخصيات .

فهو في أغلب مسرحياته يجمع الشخصيات ، وي طرح حدثاً بسيطاً ، ويتطور ذلك الحدث ، ويتفرع الى الكثير من الاحداث والمواقف ، للوصول بالتالي الى المعرفة الحقيقية والتامة بالشخصيات .

ففي مسرحيته « الازمنة القديمة » تأتي « آنا » لزيارة كل من « كاتي » و « ديلي » وتبدأ التساؤلات التي تكشف عن مواقف قديمة ، حصلت بين كل من « آنا » و « ديلي » وبين « آنا » و « كاتي » وتحاول « آنا » من خلال تذكرها ان تلقي الاضواء حول قضية « كاتي » وتصرفاتها وتلعب شخصية « روبرت نيوتن » في فيلم « البطل في الخارج » الذي حضرته تلك الشخصيات بشكل فردي ، دوراً كبيراً في تطوير الحدث ، وجذب المشاهد اليه ، وتصل المسرحية الى نهايتها حين يكتشف كل واحد من الشخصيات الثلاث شخصية الانسان الآخر ، ويتعرف على مواقفه وتصرفاته .

سادساً : هناك خاصية أخرى ، استطاع بينتر أن يشتتها في هذه المسرحية « الازمنة القديمة » وهي توظيف المواقف الفنية التي يستطيع رصدها جيداً

من خلال عمله ككاتب وممثل مسرحي ، مما يعطي المسرحية الكثير من الصدق والواقعية ، من خلال رصد مواقف من الكتاب والشعراء والفنانين •

المضمون المسرحي عند بينتر :

لعل أهم قضيتين طرحهما بينتر في أعماله المسرحية هما:

- ✱ قضية الهروب من المدينة والاتجاه الى الريف •
- ✱ قضية الهروب من حضارة الغرب الى صفاء الشرق •

ويظهر هذا جلياً في أغلب أعماله المسرحية ، فقد بدأ مسرحية « الغرفة » التي تركز على مشكلة السكن في المدينة من الناحية المظهرية ، وتناقش قضية أبعد من ذلك اذا ما أخذنا ذلك على محمل الرمز ، ونقصد بذلك قضية صراع الاجيال • وانتهى بقضية ملكية الارض ، وتحسين قضايا ومشاكل الريف بشكل أكثر جدية ومباشرة ، في مسرحيته الاخيرة « لا ، أرض الرجل » •

يقول بينتر في مسرحيته « الازمنة القديمة » على لسان كاتي :

« أشعر بالصفاء هنا ، الماء أكثر نعومة هنا ، منه في لندن ، كل شيء يجعلني أفضل العيش في الريف ، كل شيء هنا انعم ، الضوء ، الاشكال ، الاصوات ، لا توجد هنا مثل تلك الحدة الموجودة في المدينة ، هنا نعيش بالقرب من البحر أيضاً ، لا نعرف أين يبدأ وأين ينتهي ، ذلك يروقني • نسيني كل الخطوط القاسية الخشنة » •

هذا هو الريف الذي يفضلُه بينتر ، والذي يصوره من خلال مسرحياته،

أما المدينة ، فانها شرسة ، قاسية ، غاصة بالقضايا والمشاكل التي لا ترحم .
 « الشيء الوحيد الجميل في المدينة ، انها حين تمطر ، فان الضباب يلف كل شيء ، حتى أضواء السيارات وينعكس ذلك على عينيك ، وتبقى قطرات المطر على أهدابها ، هذا هو الشيء الوحيد الجميل في المدينة » .
 أما القضية الثانية التي يطرحها ، قضية الاتجاه نحو صفاء الشرق وروحانيته فانها تتمثل في هذه المسرحية أصدق تمثيل ، حيث يظهر موقف بينتر من الشرق ، بنفس الوضوح الذي يظهر فيه موقفه من الريف ، ولا ريب فان هروب بينتر بشخصياته من ضوضاء المدينة الى صفاء الريف هو نفس الهروب من حضارة الغرب نحو صفاء الشرق ، فالهروب من المدينة الى الريف ، والهروب من حضارة الغرب الى الشرق ، اقنومان متشابهان ، هذا عدا عن انجذاب بينتر نحو الحياة الشرقية ، بمختلف مناحي الحياة فيها .
 يقول بينتر على لسان ديلي :

« زوجك ... ينتظر قارباً بخارياً سريعاً ، يقذف له انساناً .. ينتظر انساناً جميلاً من شعوب شاطيء المتوسط ، أنيق أناقاة لا نعرف شيئاً عنها » .
 هكذا ينظر بينتر الى شعوب المتوسط ، وشعوب الشرق ، أما كيف ينظر الى الحياة الشرقية فهذا ما يصوره على لسان كاتي :

« كم احب ان اذهب للشرق ، أو الى أي مكان آخر يشبهه ، مكان حار جدا ، مكان أستطيع فيه ان اجلس تحت ناموسية ، وانتفس ببطء تام ، ... أي مكان أستطيع فيه ان اقلع من خلال خفقات الخيمة ، لأرى الرمال ، وكل تلك الاشياء » .

والشرق ليس مكانا حارا ، وكثلا من الرمال ، ومجموعة من الناس
الايقين فحسب ، بل هو ايضا المكان الذي يسعى كل انسان فيه بالبحث
عن رزقه ، ومكان احترام المبادئ ، والتقيد الروحي بالاشياء :

« ديلي : لماذا يجب علي ان اضيع فرصتي الثمينة ، واستمع لاثنتين
كاتي : « بشكل مفاجيء » اذا كنت لاتفضل ذلك ، اذهب
ديلي : اذهب ، اين تستطيع ان اذهب ؟
كاتي : الى الصين أو صقليا •

ديلي : ليس لدي قارب بخاري سريع ، وليس لدي بذلة سهرة بيضاء
كاتي : اذهب الى الصين اذن •

ديلي : انت تعرفين ماذا سيصنعون بي ، اذا وجدوني ببذلة سهرة
بيضاء ، سوف يغتالونني بعنف ، انت تعرفين ماذا يفعلون في تلك البلاد »
<http://ArchiveBeta.Sakhnet.com>

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، فان بينتر ينظر الى كل تلك القضايا
بنظار شرقي ، وحتى قضية الجنس ، التي تعتبر احدى القضايا المفروغ منها
في الغرب ، ما زالت في مسرحياته قضية شرقية مئة بالمئة ، بالرغم من كونها
حيزا كبيرا في اعماله المسرحية •

ان حب بينتر للشرق ، لم يأت مصادفة ، بل جاء بعد دراسة متأنية لكل
الامواضع هنا في هذه البلاد ، وهذا ما يصوره من خلال اعماله المسرحية ،
ويجعل منه شيئا يقينيا بعيدا عن الكلام غير المسؤول أو التهويمات
الرومانسية •

واخيرا ، مهما كان الشكل أو المضمون لدى بينتر ، فإن اعماله المسرحية تبقى محتفظة بالكثير من خصائصها ، سواء مثلت على المسرح ، أو قدمت على شكل كتاب ، فالكلمة في اعماله نابضة جذابة ، وحيوية ، تغني ديناميكيته عن الحركة المسرحية .

ويبقى الريف ، والشرق ، بأشجارها ، وانهارها ، وجهما ، المورد الرئيسي الذي يرده بينتر كلما اراد الكتابة للمسرح .

الاشخاص :



رجل في المقعد الرابع

امراة في المقعد الرابع

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

المشهد :

رجل وامراة يحتسيان القهوة

الرجل : انا اتحدث عن ذلك اليوم عند النهر

المرأة : أي يوم ، أي زمن ؟

الرجل : يوم لقائنا على الجسر ، لقاءنا الاول ، مشوارنا على الجسر

« صمت »

المرأة : لا اذكر ، لست قادرة على تذكر ذلك اليوم
الرجل : حين وقفنا وحدنا على الجسر ، وقلرنا الى النهر تحتنا ، كانت
الاضواء تنير كل شيء تحتنا ، على ذلك الممر النهري الطويل ،
الا تذكرين ، كيف وضعت يدي على خصرك النحيل وعندما
تسللت يدي تحت معطفك لتطوق خصرك ألا تذكرين ؟
« صمت »

المرأة : هل كان الوقت شتاء ؟
الرجل : بالطبع ، كان الوقت شتاء ، عندما تقابلنا لقد كان مشوارنا
الأول ، ويجب ان نتذكره دائماً
المرأة : أنا لم أفس ذلك ، انني أتذكر انني .. مشيت معك .
الرجل : اليوم الأول ، اللقاء الاول ، المشوار الأول .
المرأة : نعم ، انني أتذكر ذلك .
« صمت »

لقد انحدرنا خلال الطريق ، الى الحقل ، ودخلنا الاسوار ،
ثم اتجهنا الى زاوية الحقل ووقفنا بجانب السياج .
الرجل : لا ، ليس كذلك ، لقد وقفنا فوق الجسر .
« صمت »

- المرأة : كان هناك أناس آخرون غيرنا .
 الرجل : ثقايات ،
 المرأة : كانت هناك فتاة أخرى .
 الرجل : لقد مضى على ذلك فترة طويلة ، لقد نسيت كل شيء

« صمت »

- المرأة : أما أنا فما زلت أذكر الاضواء التي كانت تنعكس على صفحة
 النهر ، لقد احتضنت وجهي بيدك ، ووقفنا بالقرب من
 السياج ، كنت لطيفاً جداً ، وحريصاً جداً ، لقد درست
 عينك خريطة وجهي ، وتعجبت من تكون ؟ بماذا تفكر ؟
 وماذا ستفعل ؟

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

- الرجل : أعلن أنك معي ، في أننا تقابلنا في حفلة ، أليس كذلك !
 المرأة : اية حفلة ، متى كان ذلك ؟
 الرجل : ماذا ؟
 المرأة : أعتقد اني سمعت صراخ طفل .
 الرجل : لم يكن هناك أي صوت ، بل اظن انه كان طفلاً ، استيقظ
 وشرع في الصراخ .

« صمت »

لقد تأخرت ، ها نحن نجلس هنا ، كان يجب ان نكون في
الفراش ، علي ان انهض باكراً ، لدي بعض الاشياء الواجب
عملها ، لماذا تحاولين التسويف دائماً .

المرأة : كلا ، كلا ، لست أنا ، انني أرغب في الذهاب الى الفراش
لدي انا الاخرى أعمال يجب أن أقوم بها ، ويجب ان انهض
باكراً هذا الصباح .

الرجل : صاحب الدعوة الى الحفلة ، الرجل الذي يدعى
« دوتي » أنت تعرفينه ، لقد قابلته ، وأعرف زوجته التي
كنت معها عندما كنت تقفين بالقرب من النافذة ، حينها
ابتسمت لك ، ومما أثار دهشتي انك رددت لي الابتسامة ،
لقد أحبتني ، هذا ما اعتقدته ، ولقد أخبرني بعد ذلك
انك متيمة بعيني .
<http://Archivebeta.Sakulji.com>

المرأة : وأحبتني أنت ..

« صمت »

واحتضنت يدي ، وسألتني من أنا ، ومن أكون ، واذا كنت
أدرك ، وأحس بلاسبة يدك ليدي ، وان أصابعك تداعبني ،
أصابعك التي كانت تتنقل صاعدة هابطة على خريطة
جسدي .

الرجل : كلا ، وقفنا على الجسر ، كنت أقف خلفك ، ووضعت يدي

تحت معطفك وتركتهما تستريحان على خصرك ، كنت
تشرين بذلك كله .

« صمت »

المرأة : لقد حدث ذلك في الحفلة ، الحفلة التي دعانا إليها « دوتي »
أنت تعرف زوجته ، كانت تنظر اليك بمودة ، كانت كأنها
تريد أن تقول لك انا اصدقاء ، يبدو انها كانت تحبك ، انا
لم اكن ، لم اكن أعرفك ، مأجل ذلك البيت الذي يماكونه
بجانب النهر ، لقد ذهبت لاحضر معطفي وتركك تنتظرني

« صمت »

الرجل : لقد تحسنت صدرك .
المرأة : أين <http://Archivebeta.Sakhril.com>

الرجل : على الجسر ، حين شعر به ، بوجوده .
المرأة : حقيقة .

الرجل : وكنت أقف خلفك .

المرأة : انني اتمجب لذلك ، كيف تستطيع ، وماذا تريد ، هل
تستطيع ؟...

الرجل : نعم ، لقد وضعت يدي تحت صدريتك ، حين حلتها ،
وشعرت بصدرك ، شعرت بوجوده .

- المرأة : ربما كان ذلك في ليلة أخرى ، مع امرأة أخرى •
- الرجل : ألا تذكرين تنقلات أصابعي على جلدك •
- المرأة : هل كانت أصابع يديك ، هل كان صدري هل كان صدري بين يديك •
- الرجل : الا تذكرين اليد التي داعبت جلدك •
- « صمت »
- المرأة : وكنت تقف خلفي •
- الرجل : نعم •
- المرأة : لكن قلبي كان متكاملاً على الميلاج ، كنت اشعر به خلفي ، كنت تقابلني ، وكنت أفطر الى عيشيك وكان معطفي مزرراً ، لقد كان الطقس بارداً •
- الرجل : لقد حلت أزرار معطفك •
- المرأة : لقد كان ذلك في وقت متأخر جداً •
- الرجل : بعد ذلك غادرنا الجسر ، وانحدرنا الى الممر النهرى حتى وصلنا الى المنخفض الضحل •
- المرأة : وضممتني اليك ، واخبرتني أنك قد وقعت في حبي ، وقلت أنك ستعتنى بي دائماً ، وان صوتي ، عيني ، فخذي ،

صدري ، كلها ذات جمال غير محدد ، لقد قلت انك ستبقى
مفرماً بي .

الرجل : نعم ، لقد قلت .

المراة : وهل مازلت متعلقاً بي .

الرجل : نعم .

المراة : وماذا بعد ، لقد أنجبنا أطفالاً ، وجلسنا نتحدث ، وتذكرت
النساء على الجسر ، والممر النهري والشاطيء .

الرجل : وتذكرت انك تكئين على السياج ، والرجال يداعبون يديك
وينظرون في عينيك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sat.net.com

المراة : ويتحدثون الي بلطف .

الرجل : ويتسلل صوتك اليهم برقة ، لقد كان كذلك تلك الليلة .

المراة : وقالوا انني مغرمة جداً بك .

الرجل : واتني أنا الآخر .. أحبك .. أحبك .. أحبك .

ستار

• دراسة في أدب الشاعر الأرميني السوفيتي •

هوفانيس شيراز

• ترجمة: لوسبي قصايبان وغان كجو •

مقدمة :

ولد الشاعر عام ١٩١٤ في مدينة (لينيناكان) بأرمينيا السوفيتية لعائلة فلاحية . توفي أبوه عام ١٩٣٠ فنشأ يتيماً في دار للايتام ثم تشرد في الشوارع وأزقة الطين فكانت البداية التعبية التي أذاقته طعم الحرمان في الحياة بكل علقمها .

تدفع الذكريات المؤلمة الى الذاكرة فيكتب أول ما يكتب قصائد مثل « السقاء » و « كنا صغارا أقوياء وسعداء » . يتابع الشاعر دراسته فيحوز على الثانوية في عام ١٩٣٣ ليخرج الى العمل كأجير في إحدى المجمعات النسيجية . ومنذ ذلك الحين راح يكتب في صحف المدينة فكتب في « جريدة المصنع » و جريدة « الدامل » ومجلة « الشاب البلشفي » . في عام ١٩٣٧ اقتسب الى كلية الآداب في يريفان وفي عام ١٩٤١ تخرج منها باجازه في الآداب الأرمني .

دخل شيراز عالم الأدب كشاعر رومنطيتي يتغنى بالطبيعة ويعشق الجمال هائما بسحر بلاده حينا ومتغزلا برقيق الشعر ، بحبيته حينا آخرًا . ولقد كان لدراسة الأدب الأرمني تأثير كبير على حياة الشاعر ومساره الفكري وخطه السياسي . فمنذ العام ١٩٤٠ يقفز الشاعر قفزة واسعة مختصرا تاريخه بديوان « أغنية لأرمينيا » مغنيا بصوت جديد أكثر حدة وفوضوا ، وأشد صفاء وتجانسا ، مطلا على العالم بـ « صوت الشاعر » حيث تبرز بوضوح معالم الحرب الوطنية العظمى ، والنقمة على النازية والفاشية ووحشيتها ، والتعلق بالأرض ، والايان باتتصار الانسان الذي صنعه اوكتوبر على أعداء الانسانية .

ان القفزة التي حققها الشاعر من « بداية الربيع » الى « الانجيلية » لا تعني التكرار لقاموسه الشعري ، فالجبية أصبحت الانسان ، والجبال أصبحت الصمود والحرية ، وظلت الأم تتبوأ مكانة خاصة في نفسه ، فهي الأرض الأم ، الأرض المغتصبة ، ومن الأرض ينبع كل شيء والى الأرض ترجع كل الأشياء ، ملتحة بدماء الشهداء وعظامهم ، بغبار التاريخ ، بأوبد الشعب ... بأغانيه ...

الحق أن النزعة القومية التي يعزفها الشاعر على قيثارته الرومنطيقية ، هي التي جعلته في مركز الصدارة بين الشعراء الرومنطيقين الأرمن في الاتحاد السوفيتي ، وبين الشعراء القوميين الأرمن في المهاجر ، منذ بداية الحرب العالمية الثانية وحتى الآن . وقل ما نجد شاعرا أرمنيا سوفيتيا تطبع أعماله بالأرمنية خارج الاتحاد السوفيتي ، بالقدر الذي طبعت به أعمال

شيراز وأكثرها في بيروت . ولعل هذا هو السبب الذي جعل شهرته في المهاجر كشهريته في وطنه الأم . ويلاحظ الشاعر الفرنسي لوى آراغون ذلك فيكتب: « ان الفتى الشريد شيراز هو اليوم الشاعر الأكثر شعبية ، وشعره هو الأكثر انتشارا بين الجماهير على اختلاف مستوياتها ، سواء في أرمينيا أو في الخارج »

لقد تنوعت أساليب الشعر الشيرازي بتنوع أبعاده :
في البعد الوطني :

كثيرة هي القصائد التي يصعب إدراجها ضمن القصائد الوطنية أو القومية . فالوطن بلغة شيراز هو الأمة . وهكذا فإن مفهوم الشعب كجماعة لها سياسة ، ينطبق عنده ، على مفهوم الأمة المتكونة تاريخيا من جملة معطيات وظروف ، كما في الرباعية التالية :

حينما تملك زمام لسانك فأنت تملك زمام رأسك

حينما تخلص أمتك فأنت سيد ترابك

بكنوز عصورك الغابرة ، أنت سيد غدك

ان لم تكن مستلكا لغتك فأنت تتواطأ مع عدوك .

حيث اللغة كعنصر من العناصر المكونة للقومية ، تبلغ مرتبة الوطن الأرض بالمفهوم السياسي للكلمة . كما أن كثيرا من الرموز الشعرية تتخذ دلالتين مختلفتين في القصيدة الواحدة . فالتعلق بالجبل (ماسيس) يتخذ معناه مرة من التعلق بالأرض وهذا ما يفسره البعد الوطني ، ومرة من التعلق بالحرية كمفهوم انساني ، وهذا ما يفسره البعد الانساني . وأخرى من التعلق به ذاته كإرث للجدود :

طريق القتال القديم والحديث لم يزل طويلا ، أصمد يا قلبي !
وكحلمك الأبي ماسيس لم يزل شامخاً أصمد يا قلبي !
وكي تضرب ضربتك الأخيرة نحو ماسيس الحرية ، أصمد يا قلبي !
آه ليس ثمة نهاية ، ان الحياة عقيدة ونضال ، أصمد يا قلبي !

وتظل الغنائية تصاحب كل الأصوات كوتر فريد يفرض وجوده على
كل الموضوعات، تشاركه الطبيعة بكل قواها وعناصرها . فالأحجار هي الأوابد
الرثة التي خلفتها الحضارة المعمارية للأجداد . والزهور الحمراء المتناثرة
على السفوح وفي الحقول ، هي دماء الأبطال التي تزهر مع اطلالة الربيع .
والريح هي الزخوف التي اجتاحت الزهور بخيولها الجموحة . ويبقى الجبل
يتبوأ مركز الصدارة في قاموس الشاعر ، فلا نكاد نقرأ له رباعية أو قصيدة
إلا والجبل مائل أمامنا كما يشل للناظر في مدينة يريفان أنى استدار .

http://Archivebeta.Sakhril.com في البعد القومي :

يعتبر شيراز الشاعر القومي لأرمينيا ، فمن التغني بأمجاد الامة الى تأليه
تاريخها العريق . ومن التشجع على شهدائها الى الايمان بنصرها المظفر .
ومن الفخر باللغة والاعجاب بها الى التوحد بالمصير ، يطوف الشاعر أرجاء
الوطن الصغير متذكرا فاجعة المذبحة التي رآها أول ما رأى في الدنيا ، فأغرقت
حياته وشعره بمسحة من الحزن الناقم والايمان الراسخ بالسلام والتآخي
بين الشعوب . فيعلن عن توحده بمصير أمته متوعدا عدو بلاده :

ماسيس الكبير لا يظأىء رأسه لأية قوة غربية
ليس سيفاً هو لتخفيه تحت بساط المؤامرات

سأعمل من نصري الأخير فافورة على صدره
وسأستحيل تمثالا على رأسه حتى لو ذبحت على قدميه ..
ثم يستنير ببصيرته الأممية فيرى جرحه القومي في جراح الأمم المقهورة
ويجد العزاء لهذا الألم القومي في فضال الشعوب الحية التي تناضل للدفاع
عن وجودها :

إيه لقمان ! ماسيس جريح بأغنيتي
قيثارتي الجريحة لم تزل تتهد في حياتي
ألمي ليس من عين وحيدة فليس الأرمني وحده الجريح
ولأنكم عيان ، فأتم لا تبصرون العالم الحي في جرحي •

وهو اذ يسلط الضوء على بعض الأبطال القوميين ، كما في قصيدته
« الى ولدي آرايك » فانما يستلهم من بطولاتهم التاريخية رمزا للمنعة
والاباء ، دفاعا عن شرف الأمة • ولعل تداعي شخصية فارطان البطل القومي
الذي استشهد وهو يصد الغزو الفارسي الذي كان يهدد الوجود القومي
للشعب من لغة وعقيدة وأرض ، وتداعي شخصية البطل القومي اترانيك ،
الذي صمد في مواجهة الغزاة العثمانيين منذ زمن ليس بالبعيد ، هو تكريس
لاستمرار الروح القومية عند الشعب • وما الدعوة لتخليدهما نحتاً ، الادعوة
لتخليد هذه الروح الكفاحية العظيمة •

انحت ، يابرعمي ، اترانيك ، فارطان ،
أنحت بحيث ينطق التمثال الأرمنية ،

كي أقول أن دمائي تجرى فيك
أنت برعمي الخلاق في بيتي المهذوم .

وينهل الشاعر من الميثولوجيا الدينية والاغريقية بعض الشخصيات
والأحداث ويحملها مرة بعدة القومي ، وأخرى بعده الانساني ، كما في
الرباعيتين التاليتين :

مهما حدث بعدي فأنا لا أريد المكم
جنة استحالت بلادي أم طوفاناً فأنا لا أريد عرشكم
ومثل نوح الطوفان سأمضي وأحط على ما سيس
أنا أبغي جبل بلادي ولا أبغي موت الآخرين .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

آه ، متى ينظف هرقل زرائب العالم
كي تدفع رياح عالم الغد ، جبال آارات ، الى جهتي
كي تقول الرياح ، من بحر الى بحر لا موت الا بعد ألف عام
كي تصبح جهتا العالم جناحي حمامة واحدة ؟

في البعد الانساني :

لعل أهم موضوعات الشعر الانساني عند شيراز هي الحرب والسلام .
ولاغرو ، وهو انسان ما بين الحريين ، شهد الأولى منهما وخاض غمار
الثانية . أدرك مرارة اقتتال الشعوب وتطاحن البشر ، ففاضت نفسه رقة ،

وتاق الى حياة لا دماء فيها • حزّ في نفسه أن يتججّج البشر بالحضارة والسيف
مسلط على الرقاب • فوجد في السلام خلاصاً لكل البشرية من معركة ، يخرج
الجميع منها خاسرين :

تسكبون محراثا واحدا ، وسبعة سيوف ، وأسفاه
وتتركون هذه السبعة مغمدة في قلب سكة محراثي ،
هاقد بدا لماذا يحني الصفصاف رأسه ،
ومم تصفّر أزهار الخطميّ •

وهو لا يتوانى عن فضح زيف الغرب في الدعوة الى السلام والاخاء ،
بينما يشن الحرب ضد كل الشعوب بكل ما أوتي من فنون العصر الجهنمية :

أيها الناس ! تتادون بعضكم « أخوة »
وتسقون ترات بعضكم بدماء بعضكم
هاقد بدا لماذا لا يشر شجر الحور
ولماذا أوراقه ترتجف مثل قلبي •

ويدهشنا شيراز بصياغته لأعق مقولات الحضارة ببساطة روح القروي
الذي يرى طيب العيش في الأرض ، في طيب قلب الانسان :

لا تحلو مياه البحر حتى تحلو القطرة
لا تحلو السنابل حتى تعطي البحار الغمام
أواه ، فالقطرات المرة لا تلد غير بحار مرة
لن تتحضر الأمم حتى ترق قلوب الأثام •

ويعكف على معالجة أخطر موضوعات العصر ألا وهو « نزع التسليح »
فيرى فيه العصر الذهبي الحقيقي للبشرية :

سأظل أقول إنه الشر القديم ، حتى لو لم يبق الا سيفا واحدا
انه حجر قاين الأسود ، حفار قبر هابيل البريء
يولد الانسان ساعة أرمي في البحر حتى الترس •
وأنا أيضاً سأصبح من قبري آنذاك : ها هو العصر الذهبي
ومن الموضوعات التي يوليها شيراز اهتمامه ، موضوع الحرية :

في ذلك العالم حيث السيوف هي الملوك
وحيث العنقاوات هي ملوك حمامتي

هناك ينزف الدم من فم القلم
هناك مهجة آلاف العيون في حداد •
<http://Archiveba.Sakhnit.com>

ويؤكد على حرية الثقافة ويفضح أبواق السلطة والتملّقين وينحى
باللائمة على أدبهم الغث :

من يستطيع أن يقول للطيور : « غني هكذا وليس كذلك ! »
أو أن يأمر أسراب الطيور : « تشكّلي هكذا وليس كذلك ! »
البلبل المفترّد تنفيذا للأوامر يصير للتوبيغاء
أيقول العاقل لامرأته : « أنجبي هكذا وليس كذلك »

وكأثابه يذكرنا بحبيلية الأدب والنقد في العهد الستاليني وفي ظل
إمارة جدانوف للنقد والأدب السوفيتيين •

في الشعر الحكمي والفلسفي :

يعتبر شيراز واحداً من أكبر المجددين لشعر الحكم والأمثال ، وإذا كان للعرب فخرهم بكليلة ودمنة وغيرها من القصص الذي يحمل محمول الحكمة والمثل على لسان الطير والحيوان ، والبشر في أحيان نادرة ، مما أتاح لهذه الحكايات والقصص أن تنتشر انتشارا واسعا ، بكافة لغات العالم ، وأن تكون المرجع الوحيد الذي نهل منه أغلب كتاب الحكايات والأمثال وشعرائها . فان للأدب الأرمني الحديث ، الفضل الكبير في تجديد هذا الجنس الأدبي ، الذي مازال أكثر نقادنا يصّر على اعتباره جزءا من الحكايات الشعبية ، في حين أن كثيرا من المستشرقين والمستعربين بدأ يدرسه كجنس أدبي مستقل ، ولا سيما علماء الاستشراق السوفييت . سنحاول في هذا العرض المقارن الموجز أن نبين مواطن التجديد والإبداع عند شيراز في ميدان هذا الأدب .

لقد تأثر شيراز تأثرا كبيرا ، بشعر الحكمة القديم ، ولا سيما بالشعراء الجوالين (آشوغ) أي العشاق وليس من السهل أن نحصر مقدار تأثيره بالشعراء الجوالين الأرمن القدامى – وأغلب شعرهم قد ضاع أو حوّر أو حوّل ، الى حكايات ثرية مسجوعة – وتأثره بشعر الحكمة الفارسي ، أو بشعر الحكمة والأمثال عند ه . تومانيان^(١) أو بكليلة ودمنة لابن المقفع . وما يزيد امكانية التباس تقويم أصل الحكمة الشيرازية ، أن بعضها قديم له جذر في التراث الأرمني ، وبعضها الآخر حديث مبتكر .

(١) ه . تومانيان : (١٩٦٩ – ١٩٢٣) شاعر وكاتب وروائي ارمني شهير .

في المبنى : تتخذ الحكمة الشيرازية من القصيدة الشعرية مبنى لها ، على غرار قصائد تومايان الحكيم . وتركب القصيدة من حوارية بين قطبين لا أكثر، يتدخل بينهما الشاعر ليؤكد حضوره — وهو بديل الراوية في الحكاية الشعبية النثرية المسجوعة — وليضفي عليها بوجوده صفة الحدوث الفعلي لتفاصيل الحدث . ثم تختم الأحداث ، بحكمة تقريرية مباشرة ، قصيرة وسهلة على الأفهام ، مسكوبة بقالب لفظي مكثف في بيت واحد يشكل خاتمة القصيدة . بيد أن شيراز يشب عن هذا الطوق أحياناً كما في حكمة (الحمامة والغراب) مفسحاً المجال لتفكير القارئ. في الحكمة التي يرتأها لنفسه . وعلى العكس من ذلك ، إذ نجد أن الحكاية الحكيمية عند ابن المقفع ، وهي بديل القصيدة الحكيمية عند شيراز ، تبدأ بحكمة تقريرية مباشرة ، وتمهد للقصة التي يسردها كدليل على صحة الحكمة التي قدمها كما في المقطع التالي : « فان من حقرّ عدوّه الضعفه اصابه ما اصاب وكيّل البحر من الطيطوي ، قال شترية وكيف كان ذلك ؟ » وهكذا يبدأ الوزير يقص على مليكه القصة التي تتخللها أبيات من الشعر تتعلق بموضوع الحكاية المعنية . بيد أن الحكاية لا تنتهي إذ تتصل بغيرها بعبارات مثل « وكيف ذلك » « وكيف كان ذلك » وتتدخل الحكايات بعضها مع بعض فتصبح الحكاية التي كنا نعتبرها أساسية ، حكاية ثانوية في حكاية أخرى . ان هذا التركيب والتداخل — الذي لازلنا نلاحظ مثله عند شيراز — هو الذي يشكل لحمة كتاب كليله ودمنة الذي تشكل سداه الحكايات التي يوردها الكاتب . مما زكّد قيمة الحكمة في كليله ودمنة بحيث تصبح الحكم المتلاحمة مع بعضها في نسيج واحد ، نظرية كلة متكاملة

في السياسة والاجتماع والأخلاق . في حين أن حكم شيراز منفصلة عن بعضها في اطار قصائد مستقلة الواحدة منها عن الأخرى ، ولا تربطها بعضها ببعض سوى رابطة الشكل والاسلوب . فلكل قصيدة موضوع مستقل عن موضوع الأخرى .

٢ - الشخوص : غالباً ما تتوافق الشخوص في الحكايات والقصائد والقصص الحكيمية عند كل الشعوب . وهي تتفق ليس في دلالاتها وحسب، بل وفي حضورها أيضاً . فلسنا نجد - على سبيل المثال وليس الحصر - شخصية الثعلب تلعب دور الصادق الوادع ، في أي أدب من آداب الأمم ، كما أننا نعدم شخصية السبع وهي تمثل الرعية أو الدهماء . وغالباً ما يكون النمر اليد اليمنى للملك السباع . وكذا هي الحال بين شخوص كليله ودمنة وشخوص شيراز في قصائده الحكيمية . بيد أن هذا لا يعني أن الأحداث تتفق بتوافق الشخوص ، والا فقدت الحكايات صفتها المميزة لدى كل شعب وأصبحت حكايات متناسخة في كل اللغات . وليس غريباً أن نجد بعض الحكايات الحكيمية وقد تناقلتها بعض الأمم بحرفيتها كحكاية « الثعلب والغراب » التي نجدها في أدب لافوتتين .

ب - الإبداع في الشخوص : لقد نهج الكتاب والشعراء في ترهم الحكمي منذ القديم على تمثيل المجتمع الانساني بجماعات الحيوان . وتمثيل البلاد والامصار بالغاب ، فالعرين هو القصر والغابة هي البلاد . ولقد شذ عن ذلك الشاعر الارمني ه . تومانيان ، فهو يأتي في قصيدته « الشوك وأبي زريق

والخفاش « على ذكر بعض البلاد فيذكر الهند وعرستان وجزيرة العرب والصين .. الخ .

أما في قصائد شيراز فالبيئة غائبة ولا نكاد نتلمس آثارها إلا من الشخوص (لا حظ غياب البيئة في قصيدتي « حكمة الثعلب والقنفذ » و « حكمة الغراب والحمامة ») .

ويظل النبات كعنصر من العناصر الحية ، صامتاً صمتاً مطبقاً في كل ما وصل إلينا من شعر وحكايات ثرية حكيمة . ولعل المثال الوحيد على وجوده الفاعل نجده في الميثولوجيا الدينية : « وكان موسى يرعى غنم يتروحميه كاهن مدين فساق الغنم الى ما وراء البرية حتى أفضى الى جبل الله حوريب . فتجلى له ملاك الرب في لهب نار من وسط العليقة فنظر فاذا العليقة تتوقد بالنار وهي لا تحترق . فقال موسى أميل وأنظر هذا المنظر العظيم ما بال العليقة لا تحترق . ورأى الرب أنه قد مال لينظر فناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى . قال هاء نذا . قال لا تدن الى هنا أخلع نعليك من رجلك فان الموضع الذي أنت قائم فيه أرض مقدسة . (العهد العتيق - سفر الخروج - الفصل الثالث - الآية من ١ - ٥)

أما موطن الابداع في الشخوص فهو أن شيراز قد أنسن ليس النبات وحسب بل والجمادات أيضاً اذ تكلم بلسانها ، فراه في قصيدة « حكمة الجبل » وقد أسبغ على التلال بعض الصفات الانسانية كالغيرة والحسد ، وتكلم بلسانها ، كما تكلم بلسان الجبل . كما أنه ابتدع من الجمادات التي لا تلتف الانتباه ، كالكرسي مثلاً ، شخوصاً جديدة وأنطقها وحملها رموزاً

غاية في الخطورة ، كما في « حكمة الكرسي الناطق » حيث يمثل السلطة العثمانية القائمة على سياسة التجهيل والتهديد .

الحق أن إشراك الجماد الى جانب الطير والحيوان – والنبات أحياناً – لا نجد له أثراً في أدب أي من الكتاب والشعراء الذين كتبوا عن الحكمة والأمثال الحكيمة ، نثراً كان أم شعراً . وهكذا فإن شيراز ، بإدخاله عنصر الجماد الجديد كل الجدة الى عالم الحكمة والمثل في الشعر الحديث ، يرسى أسساً جديدة لهذا الفن الأدبي ، ستظل مرتبطة باسمه .

في المعنى :

ان نظرة سريعة الى المرامي التي تغلفها الرموز في الحكايات الحكيمة النثرية منها والشعرية أو في الشعر الحكيم ، تكشف عن عدة محاور أساسية تدور حولها موضوعات الحكمة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أ – السياسة .

ب – الأخلاق (بالمفهوم الشرائعي) .

ج – العقائد .

د – الاجتماع .

هـ – المثل الأعلى .

وتفاوتت حدة التركيز على واحدة من هذه المحاور ، دون غيرها ، بين كاتب وآخر ، ومن عصر الى آخر . بيد أن الملاحظة الدقيقة تكشف عن

القاسم المشترك الأكبر بين جميع الأعمال الحكيمة لدى مختلف الشعوب ،
ونعني به السياسة ، الشغل الشاغل لكل المجتمعات المرموز اليها بمجتمع
الغاب . فمن الأصول الهندية القديمة لبعض الحكايات والقصائد الحكيمة
العربية ، الى القصائد الحكيمة الفارسية . ومن النصوص اللاتينية المنقوصة
أو المزيّدة لأصول بعض الحكايات والقصائد الحكيمة الغالية (من الغال) .
الى ابداع الجديد منها على يد لافوتتين وغيره . ومن الحكايات
الحكيمة الحلبية المسجوعة ، التي نهجل أصولها الى خلق المثل الأعلى الجديد
في الأدب السوري الحديث كما في (مخطوطة مقام ابراهيم - صفة) لوليد
اخلاصي، تحوم ربح السياسة بشكل يطغى على بقية الموضوعات على الرغم من
أهميتها . وتكرر هذه المحاور ، التي أتينا على ذكرها في أدب شيراز وغيره
الا أن بعدا جديدا ظل غائبا ، في كل ما وصل إلينا من أدب الحكمة وشعرها
لدى كل الشعوب . ونعني به البعد القومي (كما في حكمة الجبل) .
فموضوعات الحكمة في كيلة ودمنة تخلو من أي أثر يشير الى هندية أو
عروبيتها ، بغض النظر عن الدلالات اللغوية للأسماء كـ (دبشليم ويديا
وكاتكا ودمنكا) وقد عربهما ابن المقفع بـ كيلة ودمنة . كما أن قصائد
الشعراء الجوالين الأرمن والغالين ، و « التروبادور » TROUBADOUR
الفرنسيين في العصر الوسيط ، تخلو أيضا من أي أثر يعكس
هويتها بل على العكس من ذلك ، فهي تتمتع بـ (كوسموبوليتية) فضفاضة
مما أتاح لها الانتشار الواسع ، الأمر الذي أودى بها الى فقدان هويتها
الأصلية كما في الحكايات والقصائد الحكيمة السلافية القديمة التي انتقلت

الى الروس البيض كي تتكرس كحكايات وقصائد حكيمية روسية صرفة ، وكذا كان شأنها مع الصرب . فنشأ التضارب في الآراء واختلفت التفسيرات في أصولها ، وضاعت الحقيقة بين المنسوخ والمنسوخ عنه . وليست هذه المسألة الا مثالا على طبيعة هذا الجنس الأدبي . ناهيك عن مغالاة بعض المتطرفين الذين يجنحون عن جادة الصواب كثيرا ، حين ينسبون القصائد الحكيمية أو المثلية (من المثل) الفرنسية وغيرها الى الحكايات والقصائد الحكيمية والمثلية العربية ، زاعمين أنها انما أتت الغرب في العصر الوسيط عن طريق العرب بفتحهم للأندلس ، وبازدهار حركة الترجمة والتأليف أيام حكمهم في أسبانيا .

ولرب قائل يعترض علينا بحجة أن العصر لم يكن يتيح ظهور مثل هذا المنحى في أدب الحكمة وشعرها . وبحجة أن المسوغ لظهور الميل الى ابداع الحكمة القومية انما ظهر نتيجة لتطور مفهوم القومية عند الشعوب ابتداء من القرن التاسع عشر .

في هذا بعض الحقيقة، الا أنه ليس وجهها الأمل . فالحكايات والقصائد الحكيمية العربية على كثرتها وجودة صناعتها ، كانت قابلة لأن يتطور بعضها في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ليدخل اطار الحكمة القومية . بيد أن هذا لم يحدث ، رغم أنها كانت آنذاك الأدب الأكثر شعبية وتداولاً بين الناس . واذا كان هذا الميل غائبا في الادب العربي فهو جديد كل الجدة في الأدب الأرمني الحديث ، ويرتفع بعقيرة شيراز وغيرته القومية . في « حكمة الجبل » يعمد شيراز الى خلق الاسطورة القومية ودغنها بالحكمة . وهو يخصص جبلا بعينه ، وهو

ماسيس ، وليس أي جبل . وغني عن التعريف أن ماسيس في هذه الحكمة تحديدا ، رمز لأمتة الصغيرة ، التي تعرضت لألف ريح وأعصار . وقاومت العواصف العتية . وقهرت الزمن كالجبال ، وهي ترتفع شيئا فشيئا حتى بلغت ما هي عليه اليوم . وظلت التلال التي حولها تنعي ضعتها وفعلتها . فيقدر ما تهيل من تراب لتقبر الجبل الصامد ، يسامق الجبل إلى العلى وتكلمه السماء بوشاحها الناصح البياض . روعة في المعنى وجمال في المبنى ، هكذا يبدع شيراز ، ويوجد الاستفادة من كل الأجناس الأدبية لخدمة شعبه وتأصيل أدبه .

في الشعر الغنائي :

لم يخل أدب شيراز ، وهو الرومانطيقي الثوري ، من الشعر الغنائي فلقد كانت فاتحته الشعرية مع الشعر الغنائي . حيث يؤرخ دايوانه الأول (إطلالة الربيع ١٩٣٥) مولد شاعر غرض العود يصدر متقلبا مع العنادل من فنن إلى فنن . اتبعه بـ (الراعي الصغير ١٩٣٨) ثم بكتاب (الأغاني ١٩٤٢) ثم ديوان شعر الغناء (ليريك) ١٩٤٦ . لأن أهم أعماله الغنائية هي رواية (سياماتو وخجه زاره) الغنائية الشعرية وسنحاول أن نسلط عليها الضوء لما تستمتع به من غنى .

تروي الرواية حكاية راع أرمني فقير تتبدى له حسناء كظبية شاردة في الجبال يهم باصطيادها ، فتستحيل عادة ذات حور ، فيتحابان ويتماهدان بتبادل خاتميها . بيد أنه فقير وهي ابنة أغا صاحب قطعان وأطيان ، فيحول هذا الفارق دون زواجهما إذ يتقدم أغا آخر ، ويدفع مهرها ألف نعجة وكبش ، فيوافق أبوها على تزويجها منه . يتقدم الراعي الفقير

أخطبتها من أيها فيعته هذا الأخير ، ويطرده • يتعاركان ، يستنجد الآغا بخدامه الفقراء ، فيشدون أزر الراعي وهو الفقير مثلهم ، ويخرجون عن طاعة سيدهم فيستبدلهم بغيرهم • يفر الراعي الى الجبال ثم يعود يوم زفاف حبيته من الآغا ، يقتله ويخطفها بوساطة عجوز طيبة تبلغ حبيته نبأ مجيء حبيبها الراعي ، وبمؤازرة اصدقائه الفقراء ، ثم يعود الى الجبال يحملها معه • وتحلم عروسه خجه زاره حلما مزعجاً تطير منه ، يذهب الراعي للصيد ويصطاد ثوراً برياً ، بينما يتعقبه أخو الآغا القليل ، ويرميه بسهم فيرده قتيلاً ، ويهم الى زوجة الراعي الحسنة يريد لها لنفسه خلفاً لأخيه بعد أن ثار له بقتل زوجها سياماتو • تأتي الصبية الحسنة أن تسلمه نفسها ، وتلقي بنفسها الى الهاوية مؤثرة الموت مع حبيبها على العيش في كف آغا فظ لا تحبه •

تنتهي الرواية بتعليق الراوية وهو الشاعر حيث تحلق روح العاشقين على جناحي اله الحب الخالد • تتوزع الرواية على عدة محاور رئيسية :

١ — محور الحب ، الذي تدور حوله قصة حب الراعي الأرمني لآبنة الاقطاعي ، وهي الأرضية التي تقوم عليها أحداث الرواية وأفكارها الرئيسية • الرئيسية •

٢ — محور الصراع : ان الصراع الدائر بين والد حبيبة الراعي وبين الراعي ، هو صراع طبقي ، يفضحه الآغا بلسانه :
« منذ متى كان الرعاة يصاهرون الآغاوات » ! انه صراع بين الراعي الفقير والاقطاعي الغني •

٣ - محور التضامن : ان التضامن الذي نلاحظه في خروج الخدام والعيبد، عن طاعة سيدهم ، وهو من بني جنسهم ومؤازرتهم للراعي الأرمني الفقير ، ويجمعهم به فقرهم ، هو صورة للتضامن الانساني ، وللاخاء القائم بين فقراء الأمم جمعاء . هنا يعلق الراوية على الأحداث : « وفصدوا عروق أيديهم ومزجوا دماء قلوبهم ببعضها متعاهدين على الاخاء . وكان اخاء يسطع كالحقيقة المجتالة » . ونجد مثيلا لهذا التضامن عند أندريه مالرو في « الاخاء الرجولي » الذي يمثل أروع تمثيل في روايته « الشرط الانساني »

٤ - محور الأرض - الحبيبة : لا يفرق شيراز بين حبه للمرأة وحبه للأرض ، بين شوقه ولهفته للتوحد معها وبين شوقه ولهفته للتوحد مع الأرض . فها نحن نحار في احدي اغنياته :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrat.com
يقال حزينه

أريد أن يظل عشي في « صاصون »

أريد أن يظل بيتي في « وان »

أيناجي حبيته هنا أم جباله ؟

يتضح الرمز ، فالحبيبة بنت الآغا (الأغنياء) وقد حرموا الحبيب منها ، ان هي الا صورة للوطن وقد حرموا فقراءه منه . وهكذا فالكفاح والسعي لنيل الحبيبة ، هو النضال من أجل استرداد الارض - الحبيبة وقد غصبها الآغا من الراعي (الفقراء) .

٥ - محور البطولة : يموت البطل وتنتحر الحبيبة ، غير أن الصراع لا ينتهي . ثمة من يواصل الكفاح من أجل تحقيق ما زرعه البطل ولم يحصده . هكذا ابتدأت الرومنطيقية الثورية في الشعر الشيرازي ، ولما تنته بعد .

ان مقولة « البطل الايجابي » في شعر شيراز لا تعني البطل المنتصر بقدر ما تعني « انتصار الموقف » . لقد كان حصاد تمرد البطل موتا له وانتصارا لموقفه ، ذلك الموقف الذي ترصص في أفئدة رفاقه الفقراء ، فأضحى منارة تثير لهم درب التحرر من سلطة الأغا ، مهما اختلف لونه وجنسه وشكله .

لقد صدق تيخونوف في تقييمه لشعر شيراز حين كتب : « ان شيراز شاعر موهوب ، وشعره مليء بالنار الكلاسيكية ، وهو ليس من الشعراء اللامعين بين الأرمن فحسب ، لا بل من الشعراء المعدودين من بين شعراء جميع شعوب الاتحاد السوفيتي » (الجريدة الأدبية موسكو ١٩٥٦) .

أعماله : اطلالة الربيع ١٩٣٥ - سياماتو وخجة زاره ١٩٣٥ - ١٩٤٧ ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٧ ، ١٩٧٠ بلد الشمس ١٩٣٨ - الراعي الصغير ١٩٣٨ ، ١٩٤٣ - النصر البرونزي ١٩٤٠ - أغنية لأرمينيا ١٩٤٠ - صوت الشاعر ١٩٤٢ - كتاب الاغاني ١٩٤٢ - الانجيلية ١٩٤٤ - ديوان شعر الغناء (ليريك) ١٩٤٦ - مختارات ١٩٤٩ - كتاب السلام والحب ١٩٥٠ - صديقي القطا ١٩٥٠ ، ١٩٦٠ - شوتا روستافيلي وتامار ١٩٥٢ - الأفعى والنحلة ١٩٥٣ - مختارات ١٩٥٤ - أشعار ١٩٥٤ - قيثارة أرمينيا ١٩٥٨ (الجزء الاول) - نسيمات مكبلة ١٩٦٢ - قيثارة أرمينيا (الجزء الثاني) ١٩٦٤ - باتيون الأرمن ١٩٦٥ (بيروت) - نصب تذكاري لأمي ١٩٦٨ ، ١٩٧٢ ، ١٩٦٨ (بيروت) -

سيرانامه ١٩٦٩ - أشعار ١٩٧١ - مختارات ١٩٧١ (بيروت) قيثار أرمينيا
(الجزء الثالث) ١٩٧٤ - سباعية ١٩٧٧ - ماذا تكشف حكيم ١٩٧٨ •
لقد ترجمت أعمال شيراز الى أكثر من أربعين لغة أهمها : الروسية -
الانكليزية - الفرنسية - الألمانية - الإيطالية - الفارسية - الفنلندية -
التشيكية - البلغارية - المجرية - الرومانية - العربية - الكردية -
الاوزبكية - الاذربيجانية - الجورجية - الكازاخية - الاوكرانية - اللاتفية -
- اللادينية - البولونية - اليابانية - الصينية - الاسبانية - الاستونية -
واللغة الرسمية لأثيوبيا - والهندية والخ •

رباعيات

وجه لا يضحك في الدنيا الا في الحلم
وآخر لا يضحك في الدنيا الا في بحر الخمر
تبتهج الدنيا بالمرأة .. بالثروة والخمر
والشاعر يضحك في الدنيا في كأس الغم

طوبى للذي أنامله من زهور بريئة
ألف طوبى للذي يبقى أيتلا بين الذئاب
قديس هو الشعب الذي أيديه من ريش الحمام
طوبى للذي قلبه قصص للعندليب ، وأخ للقمير اللطيف •

إذا أصغوا اليّ في هذا العالم يمضي الأمل دون معاناة
ويمتد قوس قزح جسرا ويمضي الحب دون خداع

واذا الشعوب لبعضها جسرا غدت لا هاوية
فلربما سار البشر فوق البحار بلا شراع •
أنت قلت إن الكرة الأرضية طفل الشمس الأخضر
ذاك المتأرجح أبد الدهر بمهد الكون
فليبق الانسان كذلك ، طفلا في ذاك المهد الأكبر
كي لا يخرج ويدمر وحدة هذا الكون •

ها أنا ذا أدنو من شجرة ورد وأشم الورد على شجره
من يقطف خد شقيقته كي أقطف وردا من شجره
فشقيقتي كل الأزهار ، والنحل شقيقي والأطيّار
نحن من أم واحدة ، سمك ونجوم ، فلماذا المدفع والبتار
مهما يبلغ ثلج السهل لا يصل إلى ثلج الجبل
لن يبلغ قدسية النجم الأعلى من الجبل
لو جعل البدر امرأة لي ونجوم الكون عشيقاتي
ووهبت الكون عقارا لي ما بلغوا حجرا من بيتي •

أنا أحزن حينما يقتل الانسان وردة
أقتل الوردة الانسان كي يقتلها ؟
سامحيني أيتها الوردة ، أيها الغزال ، التوبة يا أخي الذئب !
بماذا يفوق الانسان الحيوان عندما يقتل أخاه الانسان ؟
عبثا تدهش فليس ثمة أمم صغيرة وأخرى كبيرة

أعرف أمهات صغيرات القامة وينجبن عمالقة
الكبير من يلد الضوء وليس من يطفىء ضوء الصغير
من أفكارى المضيئة هذه يتألم الظلام بأكمله •

أعمل الفكر كما القبطان في البحر (يفكر) دون توقف
متى يصل عصري هذا الى المرفأ دون توقف
أعمل الفكر ، ماذا أفعل ؟ قلب أي نِيري؟ أقتلع
كي يبقى العالم بسلام وهادئاً دون توقف •

أمم الأرض ! كل أمة لون ، التحني كما قوس قزح !
لا تنخدعي ، لا لون أو أدنى من آخر
يسود قوس قزح لو بدّل ألوانه بلون واحد
تقرّحي ••• لا تكوني كالغيمة تنصعق أذ تبرق •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قلب ! يا قلبي ! أنت مركب والحياة بحر
سر الى الامام بوجييك وسط الضجيج
ولكن ، اعلم أن ليس
ثمة بحر دون أمواج •••

ينفتح كتاب الكون كلما تفتحت زهرة ••
مع كل ذبول زهرة ينغلق كتاب الحياة
الحكيم يروى الكون بزهرة واحدة ،
حتى للنملة قلب أم عندما تظعن بموت ابنها •

قبلة للقوة التي هي درع الأمة فقط
 للقوة التي تحرص على بيتها ولا تهاجم غيرها
 ولا تغزو كي تنهب ذهب غيرها ... لغته
 وحده المحراث ، صورة أمتي ، بريء في هذا العالم .
 أجعل قلبي سيخا وأطعن به قلبي ، اذا حدث كذبا
 في الحياة الدنيا أحرق قلبي اذا كذبة كذبا
 أغنيتي جبا بماسيس ، ما مرت من تحت أي سيف
 ها أنا أقبل قلبي بغم مدمى من الصدق .

كيف أصمت وأنا جد قريب من ماميس ،
 أنا قريب جدا ، ولكنني بشوق الى ماسيس ،
 أيها السلام ، انظر كم أنا أعبدك ،
 بحيث أنني لا أزغى : « أنا بارود لماسيس » .

بدموعي ذكرياتي ، اجلبوا لي أيضا من ثلج ماسيس
 عندما يتحرر لا تأتوا بالخبر مطبّلين هازجين
 لأن قلبي مهتريء كثيرا من الحنين الى آرارادي أنا
 ولئلا أموت من الفرح تعالوا وأخبروني هامسين .

أريد كأس الخلود لأجل شيء واحد فقط
 أريد قدرة الأحياء كل قرن مرة واحدة فقط
 كي أنجدك يا أمتي ، من جديد ، حين تقعين في ضيق
 هاكم لماذا ما كنت أريد النوم الأبدي .

لا أخدود ألم على جبين الغرب
بمَ أغيمَ كي أرعد على جبهة السلاطين ؟
نصف قرن مضى لكنهم لما يصعدوا الهلال الى المشنقة
ماسيس ! اعطني حجرا على الأقل لاشج جبهة الغرب ...

ظل عمري أسير حروفك
ظل أسيرا لاناثيدك
وقلبي بأغنيتي يا شعبي
ظل أسيرا لكل جراحك •



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhnet.com>

أتها المياه ، تأتين مفرقة
وتمنحين بجر باتك الزهور لشواطئك
تأتين من البعيد ضاحكة
وتمضين عن هذا العالم باكية •

ثمة امرؤ ضحية الصدق هو ، وثمة آخر ينكر الأحياء
ثمة امرؤ طهور كحليب الأم ، وثمة آخر يلوث حتى لقاء الحليب
ثمة امرؤ كل شيء لديه للانسان ، ثمة آخر هو ظل انسان
ثمة امرؤ يكاد أن يكون دقيقة ، وثمة آخر يخلق دهورا •

يلوح لي أني أشيخ وأنكم لا تشيخون
وأنكم تصعدون نحو جبال حلمي ولا تشيخون
لكن لا ، لكم شيخوختكم أيضا يا شبابي الطائشين

وأنا أيضا كنت أحسب أنني سأظل شابا .

في بحر البشر بقيت بشوق الى الانسان

مثل نهر يزيد بقيت محجراً ،

لم تتركوني أصل الى بحري ، الى « وان » ، -

بالمكاد بقيت حفنة حقل ومرعى .

أتعلم لماذا تتمايل كل الأشجار في كل مكان ،

ليل نهار تتمايل كل الغابات الحية في كل مكان ،

وتهمس : « لا تصنعوا منا تابوتا ، بل أرجوحة »

كي نحفظ دوما الانسان - العوالم مقلداً بريئاً في كل مكان .

تجنّ الرياح دوماً مداعبة بعضها و... تغيب

تجدد الرياح بتعاقب الأجيال و... تغيب

آه ، الشعوب لا تملك حتى عقل الرياح في اضطراعاها ،

تضلّ ، تطوق بعضها ، تتجهّم و... تندثر .

أنا لا أخشى الجحيم ان وجد أم لا

الخطيئة برقة عدونا ، ان مات أم لا

أنا بريء ، كما تحرير ماسيس في الغد

ان نزلت ال (.....) العليا المربعة ، أم لا .

□ □ □

اهداء الى شعبي المهجر

كوخا من الوطن
فأنت منسيّ ، وأنت متروك
وأنت يتيم وبدرك غربة
ان أنت أتقنت ، كل لغات الأرض
في عالم الغربة
وظلّ لسان الأم ، في غربة عنك
فأنت عصفور سرقت أناشيده
وأنت للابد في غربة تائه
عن أرضك الأم

لا زهرة تعطيك عيشة الغربة
حتى اذا أزهرت في تربة الغربة
ستكون خمرتك دمعاً على شفّتك
وان ملكت الارض وأنت لا تملك
كأساً من الخمر
من كرمه الوطن
لا كوخ تعطيك عيشة الغربة
لكن اذا أعطتك تحت الشمس قصراً
وأنت لا تملك

ARCHIVE

أرّجالات

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

مذعورا ، رأيت في حلمي الحرب الرابعة ،
كان الناس يقتتلون من جديد ، بيد أنهم ، بالقوس والنبال ...

في حلمي ، هبطت الى الجحيم ، ورأيت في قدر القطران ،
مخترع الذرة يقول : رباه اغفر لي فعلتي ...

في حلمي ، رأيت ابليس ملتصقا بقدر القطران ،
كان يقهقه مع نيرون وهتلر ...

في حلمي ، كنت أتجول مع أمي في الجنة ،
أيها الناس ، أتمنى لكم ، مع أليب المنى ، كل عذاباتي الأرضية .

صلاة

- طوبى للذي ضميره دائماً حيّ ،
فانه ملاك الرحمة لآلاف الجراح .
- طوبى للذي دائماً هو أمل الليل ،
فانه سراج يضيء الدرب والدار
معتمة .
- طوبى للذي يتألم وحيداً ،
فانه يصير متكاً لآلاف المتعبين .
- طوبى للذي يعاين جرح الآخرين ،
فانه ملاك الرحمة لجراح أمته .
- طوبى للذي يعيش كالدرويش
فانه قصر الضمير وتواضع الكوخ .
- طوبى للذي تقيه حياته الدنيا ،
فانه ملاك الرحمة لجراح أمته .

لار ماذا يصير ابنائي في المستقبل

<http://Archivebeta.sakhrat.com>

آه ، الهي ، اعطني عين نبي ولو ليوم واحد ،
كي اقرر ما سيحل ، مرة بأرضي ، وأخرى بأولادي ،
لأر أي باب هذا تفتح براعي ، براعي الصافية ،
لأرهل تبتهج هذه الحياة المسكينة بازهرارهم .

ومهما سعدوا ، من وديان انتظاري ، جبالا
ليحلوا بسبعة أشكال ، أريدهم أن يصعدوا ماسيس ،
وآلا يأخذ أحدهم سخاما وبموضا من هذا الزمان العضوض ،
وأن يطلعوا من هذا القرن ، كما قوس قزح من الغمام .

أريدكم أن يظلوا أتقياء هكذا ، حتى أثناء الفيضان ،
 ألا يغرَقوا الآمال بل أن ينتشلوا الفارق منها ،
 فليأخذونا لجبالي تلك ، التي هي آمال لم تزل ساحرة ،
 كي ينهوا أولا ، عذاب الآخرين ، ويقصوا بعيدا قهر الأرمن أيضا .
 آه ، الهي ، احفظهم دائما هكذا ، دائما أتقياء ،
 ها أنا أصلي كي تفيض قدسيات أبنائي ،
 كي لا يجنحوا عن دربي الهبة — ربانية المكتظة بالبشر ،
 كي يكبروا أيضا ، ويمحووا حتى آخر دمعة للبشر .

□ □ □

... دارتي هذه حفنة تصير خلية بلا حدود ،
 وأطفالي يصيرون آمالا تسابق بعضها ،
 وأنا أصلي من أجل أن تزخر الأهم الصغيرة بالبشر ،
 الهي ! لا تخلق أبدا أي رحم عاقر ...

الزبد والمرجان

ان كنت مرجانا... فأني مرجان هذا .	يطفو الزبد على وجه البحر
أنا هو الكنز الحقيقي لأمنا البحر ،	يتألق لحظة ، كأنه مرجان
أنا الذي يطفو دوما على وجه المياه .	بينما المرجان يركن في الأعماق ،
أنا الذي الملح ،	الكنز الحقيقي يولد من الأعماق
وأتمتع بالحياة ...	للزبد رأيه في المرجان :
لكن متعته لم تطل كثيرا ،	— لماذا لا مكان لك على وجه البحر .

... ثمة أناس ، كالزبد
 يطفون دوما على وجه بحر الحياة ،
 لكن كم يركن في الأعماق
 من مرجان
 لم يزل يخطف مجده الزبد .

خرجت عاصفة ، وبعثت الزبد .
 فلم يبق له أثر على وجه البحر ...
 بينما المرجان ، لما أخرج من الأعماق
 تناقلته الأيدي ، وقالت كنز هو !
 هاهو المجد العظيم الوحيد لأمننا البحر

وجدتها

آه ، هي أيضا قد تيسمت
 وصارت دمة عالقة في عيني الطفلة
 وذكريات تذيب الفؤاد .

...
 التهنيدات شاهدة ،
 بقيت يتما ودمة
 وفي سوق « شيراكي » أنا
 تشردت . وذات يوم
 رأيت امرأة مسكينة مطأطأة الرأس
 عائدة من السوق القديمة الى الدار
 وفي يدها رغيف أسود .
 هجمت عليها وحاولت
 خطف الرغيف من يدها ،
 التفت الي ، وفجأة

بذكريات طفولتي المرة
 وأنا بينكم صبي يتيم
 في عمق ليلة ما

هربت من دار الأيتام .
 بشوقي لأمي المكنون في قلبي
 طفت أرجاء المدينة
 فوجدت حورتنا فقط
 وكوخنا المهديم .
 ...

آه، كانت حورتنا تقرع صدرها نائحة
 كيف أن يد الإنكشاري
 دفنت أبي نصف حي ،
 ولم تترك حجرا على حجر ...
 لكن ، أين كانت أمي المكفهرة

آه ، لم تدبر ما تفعل
طار قلبها بصرخة ،
واسمي على شفيتها
واحتضنتني كحمل صغير
وبقوة ، شدتني الى صدرها
راحت تداعب رأسي
وتشدني الى صدرها المهترئ
وتقبل عيني
ويدي المشحرتين
كافت تردد : « حبيبي الشقي »
وتداعبني وتبكي
وكانت البشر ما تزال
تتحلق حولنا بعيون شاحصة ..
لكن قلبي الذي منذ زمان
كان مشتاقا لحضن أم
لم يسأل ، من هي ؟
ولم يفكر . ومن جديد
وكعصفور صغير
أعنى ومسكين ،
راح يرفّ

ولكنه كان يشعر أنه وجد
عشا دافئا في هذا الحضن

كانت تداعبني وتلامفني
وتملأ روحي فرحا ،
وكانما أعطيت
كل ما في السوق من خبز
أما هي فقد نسيت الخبز
وراحت تشدني الى صدرها ***
— آه ، لقد كانت أُمي المفقودة
التي اخذت ابنها الضائع الى البيت
— ٢ — <http://Archivebea.Sakhril.com>

هاقد مضى العمر
ولم تبق الا الذكريات
ذكريات أيام اليتيم التي لا تعود
وسادة من حجر تحت رأسي
... ولكن الشرير يريد من جديد
أن يُسَمَّ الأطفال
يريدهم أن يخطفوا الخبز من يد الامهات
وأن ينكروا حتى أمهاتهم

ستهدم حتى آخر قلعة
للطفيان الأمريكي

لكن ذلك لن يكون ... فأمال
الاطفال والامهات الطهورة

الثعلب والقنفذ

قال الثعلب :

— أواه ، يالأسى !

لم يعد ثمة من يخاف الله

لم يعد الانسان يأمن من أخيه الانسان

كأنما هم ذئاب في صحراء .

قال القنفذ :

— آمنت بالله يشهد الله على ذلك

قال الثعلب : ولكن أتدري

لقد ألجمت الحرب الحرون

وردت كل السيوف الى أغمارها

وعقيد الصلح مع النمر

من أجل سلام مئة عام

فدع باب بيتك مفتوحا ، أنت أيضا .

ماذا أنت صانع بنبال شوكتك

ولماذا لم تزل مسلحا بها ،

لأي ضرورة تحمل على ظهرك

حملا ثقيلا من السلاح والعتاد ؟

وصدّقه
القنّذ المسكح
وخلع سلاحه - الشوك
وصار كتلة
من اللحم طرية •
فانقضّ الثعلب
وابتلع دفعة واحدة
ذلك القنّذ الأجرد والأعزل اللاحق ...
طالما أن الشر قائم في الأرض ،
عليك أن ترتدي سلاحك وعتادك •

الحمّامة والغراب

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كانت الحمّامة الصغيرة الوديعّة مستغرّبة ،
من أن الغراب يعيش خمسمائة سنة
أو ثلاثة قرون
دون انقطاع •
ولظمأها للعيش مئة سنة
أرادت أن تعرف السر من الغراب •
- لماذا أنتَ
وأنا المجنّحة مثلك ،
تعمّر أطول مني ؟

وأنت الذي الذي لا تساوي غبار رجلي •
قال الغراب ،
- تعالي لأكشف لك السر حالا ،
وحطّ على جيفة تنّة
وأثّيب منقاره فيها ...
أما حمامتي المسكينة فارتعدت لحينها
وقالت : فلتكن حياتي دقيقة واحدة ،
خير لي أن أعيش قليلا كحمامة
من أن أعيش قرونا ولكن ، كغراب ،
وطارت الحمامة الى السماء •

ARCHIVE

كلمات وديّة

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

مهداة الى ولدي أرييك شيراز

الى أن يعطوك كنوزك يا ولدي
بكأس أيامك الخمرة الأبدية ...
انحت يا برعي أجمل مني
أوه ، انحت بحيث يتكلم الحجر
انحت كي تشطر آلام الأرمن تمثالك •
وبك تنبغ الأمة في العالم أجمع •

ستحرق كثيرا أصابعك الغضة •
كي تخرج كنوزك من بطن الجبل
الصلد •
كي تخرج لؤلؤتك من أعماق روحك
آه ، كم وكم ستكدح •
ستدمي يداك من الصخر كثيرا
ستشرب بحرا من عرق الشقاء

كي تخرج كنوز البحر من أعماق
روحك

كي لاتغيبك قبلة الفتاة في قاع البحر.

افحت ، يابرعبي، «اترانيك» ،*

« فارطان » ** ،

بحيث ينطق التمثال الأرمنية

كي أقول أن دمائي تجري فيك

فأنت برعبي الخلاق في بيتي المهذوم

... لكن ان لم تخرج كنوزك للعالم

فستحول الى ديدان في قلبك .

تحول ، وتأكل قلبك ، منجم الذهب

تتحول الى ديدان ان أخذتها معك

الى القبر .

اعلم أن لاقبر لمن لا يكده ،

فقط ابتعد عن كأس المرأة

قال المصفور

قال العصفور : وأعطوني الحرية.

قال الانسان :

خذوا حياتي

وأعطوني الحرية.

قال الرب :

أتم البشر

أعطوني الحرية ...

خذوا جناحي

وأعطوني الحرية.

قال الوحش :

خذوا أنيابي

وأعطوني الحرية.

قال السمك :

خذوا بحري

اترانيك : أحد الابطال القوميين الارمن
فارطان : أحد القادة العسكريين الارمن الكبار

آه كم من مرة ...

لكن مهما غاصت
في العتمة اللامحدودة
فإنها تنبث من جديد
مثل الشمس •

آه كم من مرة
قطع رأس أمتي
كما الشمس ، السنبلة

حكمة الجبل

نهض جبل من قاع الحياة
وارتفع ، صار عقبة طريق
وكما الشعب سد
طريق مجد التلال ،
فاحترقت التلال بحرقه من المראה والغيرة •
- أيتها التلال ! يحرمننا من الخبز ،
هذا الابهيم الطالع من قاع الحياة
ألا يكفي أنه يسد طريق مجدنا
أقلل الى أمد طويل تلالا وهو (جبل ؟)
أنبقى بحذاء تراب اقدامه ؟ !
هلموا ! كتفا لكتف ، يعضد بعضنا بعضا
نزيح هذا الجبل المرعب عن الطريق
أن لم يكن ثمة جبل ، نبدو نحن جبلا •
هكذا قالت التلال وتعاضدت خفية •

لكن ، عندما صمد الجبل لمؤامراتها الشنيعة
وعندما تحمل الجبل الالم – الصخر ،
خرجت يائسة •
وأسقط في يد
التلال الشريرة
وحفنة حفنة ، ودون توقف
خفية ، وخطب عشواء راحت تملأ التراب بنقمة
وأیضا ، غير التراب الذي أهالت فوق الجبل الكبير •
وحفنة حفنة ، بتراب الخيانات اليومية
أرادت أن تقبر الجبل من ألف مكان ومكان
لكنها شذعت في النهاية
لما أحسّت أنها يقدر ما أهالت
فوق الجبل ، من تراب ،
ومهما أهالت • ارتفع الجبل
وكان مجرد جبل فصار ماسيس
ومهما أهالت من تراب
تسامق الجبل أكثر فأكثر
وصار معبودا كما ميس الأشم •